الثقافة الاسلامية والتغيير الحضاري

الاستاذ : **عبد الكريم الوسلاتي**

إن مرارة الواقع المعاش والأزمات السيكولوجية الشاخصة باستيلاب الفكر والمشاعر والنداء الباطني، والسّير في تطور خطي Evolution lineaire نحو مكننة الانسان مكننة راغبة إضافة الى التناقضات والمفارقات المتشابكة التي لا يكاد يتمايز فيها الشيء عن ضده دفعني الى أن أقول قولا في واقع الثقافة الاسلامية ومستقبلها.

من أبجديات الواقع التي لا يختلف حولها إثنان ما تعانيه الجماهير العربية الاسلامية من أزمة خانقة ترجع في أصولها الى أزمة ثقافية تجسد الانشطار والتّيه وفقدان الهوية وتفاقم فقدان الذات وتجاهلنا على أساس اعتبارنا هامشا تاريخيا واستثناء حضاريا بعد أن كان لأسلافنا قصب السبق في بناء الثقافة والحضارة العالمية الى حدود أواخر القرن الخامس عشر الميلادي بسقوط آخر معاقل المسلمين بغرناطة سنة 1492.

فما الذي أصاب العقل المسلم في توقفه عن العطاء والابداع ؟ هل هو واقع الهزيمة السياسية والعسكرية ووقوع العالم الاسلامي تحت دائرة الحصار الاقتصادي والثقافي التغريبي ؟ أم هو توقف راجع الى عوامل ذاتية ابتُعد إثرها عن الرؤية الشمولية والترتيب الموضوعي لانعدام الرؤية الدقيقة لسلم المشكلات التي تواجه عالم المسلمين والعجز عن الربط والتمييز بين آثار المشكلات التي تنجم عنها وأسبابها التي أوجدتها والتلهّي عن الأصلي بالفرعي وبالذاتي عن الموضوعي وبالخاص عن العام ومجانية روح الاسلام الصحيحة في بعدها الانساني الآمر بوجوب استيعاب الدرس التاريخي «يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٌ أَوْ انْفِرُوا جَمِيعًا ...»[1] ؟ أم هو

(1) النساء 71.

الموقف السلبي الانسجامي الذي يعني الرفض والانكسار والانحباس في دائرة العجز والتبعية والتوقف عن قابلية استيعاب الثقافة الاسلامية وهضمها والتوجه عنها في تذبذب بين شرق وغرب بدعوى التخلي عنها لتحقيق النهضة ومواكبة العصر ؟ وكيف يستعيد هذا العقل المهزوم حضوره التاريخي بعد غياب دام قرونا وينطلق في قدرة وحركية فذة متميزة في الابتكار والعطاء على ضوء رؤية ثقافية شاملة توحيدية بين أقانيم ثلاثة الله ـ الانسان ـ الطبيعة ؟.

قبل أن نخلص للاجابة عن هذه الاسئلة لا يسعنا الا أن نقف عند مفهوم الثقافة المطلق بمعناه العام الشائع ومفهومها الاسلامي الخاص كما لنا أن ندرُجَ إلى مفهوم المثقف والعلاقة القائمة بينه وبين رجل الفكر ورجل السلطة.

إن الثقافة في مفهومها اللغوي المجرد تعني التهذيب والتسوية والحذق يقول ابن منظور في لسان العرب : «يقال ثقف الشيء وهو سرعة التعلم ـ والغريب أن هذا اللفظ لم يستعمل بمفهومه الحالي لا في العصر العباسي ولا الأموي وقد وردت مرتين أو ثلاثة في مقدمة ابن خلدون بصورة أدبية كمفردة لغوية دون الوقوف عندها كمفهوم وظاهرة اجتماعية رغم ان الثقافة الاسلامية كانت في قمة عطائها.

أما في مفهومها الاصطلاحي فقد اختلفت حولها الآراء تبعا للمذاهب والمدارس الاجتماعية فهي تلك الانماط السلوكية التي تطبع مجتمعا ما في مسيرته التاريخية عند مالك بن نبيء في كتابه «مشكلة الثقافة» في حين يذهب آخرون في تصور أشمل فيرون أنها تلك التعامل الايجابي مع الواقع والانسان والله والطبيعة في تناغم وتواصل بعيدا عن الاغتراب والشرك وإلغاء الله من الطبيعة وهو مفهوم أقرّه سارتر أحد أقطاب الفلسفة الوجودية «إنّه عندما نلغي فكرة الله عن الكون يصبح الانسان غريبا عن الطبيعة». ولعل أسباب الاغتراب والانحراف عن الفطرة البشرية السليمة يعود إلى أسباب ثلاثة :

ـ الجهل.

ـ الخوف.
ـ النفعيّة.

فالنمط الثقافي هو الروح الغالبة على مجموعة معارف مجتمع ما وخصائصه واحساساته وتقاليده ونظراته ومُثله لأنها كلها تحتوي على روح مشتركة يؤلف بينها كلها شكل يسمى الثقافة، وكل إنسان يتنفس ويتغذى ويترقى في هذا الجو الثقافي،،، ومن هنا فمعرفة ثقافة مجتمع ما هي بمثابة معرفة حقيقية لبواطن ذلك المجتمع ونقاطه الحساسة وعلى ذلك فالثقافة الاسلامية هي البلوغ الى إعادة ترتيب العقل العام للمسلم المعاصر وتخليصه من النظرات الجزئية العاجزة عن مواجهة مشكلاته وتحدياته الداخلية والخارجية على ضوء رؤية شاملة لمسيرة الانسان في الزمان والمكان بعيدا عن التهيجات الخطابية الانفعالية التي لا تزيد عن كونها ومضات آنية تحرك العواطف ولا تهدي العقل.

ان المثقف ليس المتعلم كما هو شائع عندنا ولا هو المختص بل المثقف هو الذي يسمو إلى نظرة شاملة في فهم خصائص مجتمعه بناء على فكر واع يتعامل مع الواقع في جدلية أخذ وعطاء لغاية البناء بإيجاد الحلول المناسبة في معادلة بين ثنائيات متجانبة كالروح والمادة والثابت والمتغير والأصيل والعصري، فوظيفة المثقف كما يقول حسن الترابي «إن دور المثقف في مجتمع في طور البناء هو جمع المطالب الجزئية في منهج كامل شامل يؤدي حاجة الناس ويخدم مطالبهم وأهدافهم» وهنا نقف عند نوعين من أنماط المثقفين :

المثقف الأصيل : يستمد تصوراته وحلوله من واقع مجتمعه وتراثه وتاريخه وما يحيط به من فعاليات القوة في الحضارات والتجارب التي خاضتها الشعوب عبر صراعها الطويل لبناء ذواتها، فيبدأ بتأسيس حركة إسلامية صحيحة بعصرنة المفاهيم وفق روح التشريع العام فيمنع مجتمعه فورة الفكر الجديد والحركة الجديدة مثلما فعلت البروتستانية المسيحية المفجّرة لأروبا العصور الوسطى وقمع قوى الاستكبار المخنقة للعباد باسم الدين والاقطاعية، فينحو بالمجتمع منحى التنوير والثورة وصنع المسؤولية

والعالمية بناء على ثقافة تؤصل الاستشهاد والكفاح والنضال الانساني والحرية والديمقراطية ... ومن ثم تكون نقطة انطلاق المثقف ومسؤوليته في إحياء مجتمعه ومنحه الحركة والفعالية البنّاءة حتى :

* يقوم المفكر وهو المصمّم الثقافي للمجتمع بتحويل الجمود وأسبابه إلى حركة فاعلة ايجابية هادفة.

* نقل التناقضات الاجتماعية والطبقية من باطن المجتمع إلى ضميره ووعيه.

* تثبيت التواصل بين المثقفين والجماهير وإزالة أسباب القطيعة.

* نزع سلاح الدين من غير أهله سواء الانفعاليين منهم أو الجغرافيين.

* ملازمة أصحاب الفكر الواعي الملتزم لخط الايمان.

مقاومة مظاهر الطغيان والانحراف وخداع الجماهير والعمل على تجديد ثقافة الدين وتحديد هويته الانسانية والتاريخية والاجتماعية ونصرة خط هابيل رمز الحق في القرآن والحذر من الوقوع والسقوط في هوة خط الباطل المجسّد هو الآخر في شخص قابيل عموما وفي :

- فرعون المستبد بالسلطة السياسية.
- قارون المستبد بالسلطة الاقتصادية الحاكمة.
- بلعام المستبد بالسلطة الدينية الرسمية.

فالاسلام حين يتحدث عن أصحاب النزعة الأخيرة - الروحانيون الرسميون - ينعتهم بأخس التعابير، إذ ليس للاسلام روحانيون فكلمة روحاني مستعارة من المسيحية فنحن لدينا مثقفون وعلماء دينيون لا يشكلون مراجع رسمية تفرض نفسها عبر الوراثة واحتكار السلط فهؤلاء ظهروا في المجتمع كنخبة لضرورة لا كقاعدة لمؤسسة بل استمدوا من الشعب نتيجة اختيار حرّ ودرجات علمية وثقافية وعلى هذا النمط ظهر اعلام الثقافة الاسلامية وروّاد النهضة كجمال الدين الافغاني والكواكبي ومحمد عبدة وسيد

قطب وعبد العزي الثعالبي وابن باديس، فمحمد عبدة هو الذي جسّد بداية اليقظة الثقافية خصوصا في المغرب العربي الاسلامي بالعودة الى متن القرآن والتحقيق فيه أصلا وترك الحواشي والهوامش، ومعرفة التاريخ الاسلامي باعتباره سجلات أحداث الاسلام.

ان بناء نمط ثقافي على الأسس السابقة كفيل بإعادة الجذوة والحياة إلى المسلمين في بناء ذواتهم واستعادة دورهم القيادي وبناء مجتمع الاخاء والوحدة إضافة إلى عامل إدراك الثغرات التي يمكن ان يتسلل منها أعداء الاسلام من خلال واقع اجتماعي اختلطت فيه الأوراق وفقدت فيه روح الغيرة على المقومات الثقافية العربية الاسلامية الاصيلة أو كادت، وتبعا لذلك كان لزاما على المثقف الحقيقي التواجد تواجد الفعل الايجابي الخلاق في جميع ميادين الثقافة والمعرفة حتى تطبع بالطابع الاسلامي المميز المشع على كامل اتجاهات الدائرة الاجتماعية خدمة للجمهور وتأسيسا للوعي والهوية، ففي باب الأدب الاسلامي مثلا تفتقر المكتبات إلى مؤلفات أدب إسلامي أصيل في المبدأ والهدف يخاطب الناس بما هو كائن وبما يجب أن يكون مواجهة للاستبداد وطبائعه اضف إلى ذلك المجالات العلمية فالبلاد الاسلامية نفطية من الأساس وهناك أكثر من سبع مائة صناعة مدنية وعسكرية تتعلق بالنفط ومشتقاته لا يعرف منها المسلمون الا النزر القليل ... فهل يخدم ذلك عقيدة التوحيد ومادة نظر ومشتقاتها استعملت في القرآن أكثر من العدد المذكور نفسه ؟ لا أبدا، فمتى لم نأخذ بأسباب المعرفة والعلم وفق روح التوحيد فسنظل كمن يحرث في الماء وينتظر موته لحظة بعد لحظة وهو شاخص لا يستطيع خلاصا.

بكلمة إن المسؤولية الثقافية الاسلامية معاناة يومية تبدأ من البيت مرورا بالبيئة والسلطة، كما الحال بالنسبة للماء والشعاع والرطوبة المشتركة في انضاج الثمر والقوت. من هنا نخلص الى نوع ثان من المثقفين هم :

المقلّدون وأصحاب الثقافة التغريبية : لقد طُبع جانب الأغلبية الساحقة من مثقفينا بطابع الغرب في تصوراته وتعامله مع واقع وأرضية غير أرضية الغرب، فأصبح يتلهف على كل ما هو غربي برّاق في جوهره محطم لروح

الانسانية في باطنه وهو مظهر سلبي غرسه الاستعمار المباشر وتغذّيه النزعات المادية والعلمانية والصهيونية والماسونية والرّوتارية ،،، إضافة إلى ما يبطنه المغلوب نفسه من إرادة في تقليد الغالب علّه يصل الى ندية مماثلة له، فنزع عنه خصوصياته وأعرض عن كل ما هو أصيل نابع من ذات المجتمع وتاريخه وتصوراته وطرح الدين جانبا رغم أنه أكبر العوامل الثقافية حضورا وفاعلية في واقع الحياة والمجتمع ونحن لا نعني مطلق الدين أي دين بل دين الاسلام الشامل المحرك لخوالج النفس التوّاقة الى الحركة والبناء الجاد في سبيل تأسيس كيان الانسان الخليفة المكرّم المحمّل بأمانة التكليف في الوجود وجهاد الطغيان في مسيرته ومصادره عبر الحقب التاريخية بأزمنتها الثلاثة. فهل هؤلاء المثقفون من معين الثقافة الغربية المسموم، من معاهدها ومدارسها وجامعاتها فطبعوا بطابعها الثقافي في تصوراتهم وأفكارهم ومعاملاتهم وعادوا إلى بُلدانهم يجسدون روح الغرب الشرسة، فكانوا بحق وكلائها وخادميها الطائعين يؤدون وظيفة الغرب ووصاياه من حيث يشعرون أو لا يشعرون، يقدّمون للجماهير الاسلامية زادا ثقافيا يقتل ولا يحيي، ويهدم ولا يبني، ويؤخّر ولا يقدم، ويجلب الهزيمة والعار ويكرس التبعية والقطيعة مع جمهور الناس، بهذا العفن الثقافي الذي يقدم إليها في أجهزة الاعلام ووسائل الثقافة ـ تقدّم نفسها غنيمة باردة لعدوّها وهي طائعة مختارة دون أن يخسر عدوّها طلقة واحدة.

ان هذا العفن الثقافي الذي يقدمه ويفرضه بمناهجه العلمية وألوان الانتاج المادي ووكلاءه في العالم الاسلامي في قطاعات التربية والتعليم والسياسة ووسائل الاعلام هو طوفان قادر ـ ان لم يتدارك بسرعة ـ على تقويض أركان هذه الأمة وهدم شبابها الذي أصبح الدرهم الواحد عنده خير من قناطير الوعظ الجميل ولا غرابة أن يكون ذلك وأكثر ما لم نُحدّد استراتيجية ثقافية أصيلة نتحدى بها عقائد العدو ونظرياته المنحرفة وعقدة الخوف منها التي تعتبر الغرب النموذج الثقافي الامثل.

وفي ظل هذه المؤامرة المخطط لها من قبل قوى الشرّ سيطرت العقليات المريضة بوخم المادية الغربية الاستهلاكية المزحزحة للقيم الاسلامية وإبعاد

التراث الاخلاقي عن المسيرة الحضارية والثقافية للشعوب الاسلامية دافعها الحقد والأنانية والآثرة المجسدة في روح الآية الكريمة «ودُّوا لَوْ تكفرون كما كفروا فتكونون سواء»[1].

ان هؤلاء المثقفين ـ بل قل أشباه المثقفين ـ يقتلون أمة ويهدمون ضمائر ويخربون نفوسا ويذبحون أرواحا عن عمدٍ وسبق إصرار، يكرّسون مفاهيم اللذة والانحراف بصوره ففقدنا الاعتزاز بذواتنا وتاريخنا وأصالتنا، وعمّقنا الهوة بيننا وبين لغتنا وتراثنا وحضارتنا، صوّروا تاريخنا على ضوء الدراسة الغربية للتاريخ تاريخا سودا ويا قاتما نعت بشتى النعوت الكاذبة من تخلف ورجعية وظلامية ... في مقابل جعل كل ما يتصل بالغرب تقدما ونورا وحضارة فخلقت مركبات نقص وحالات من الشعور بالدّون فتعقدت مشاكلنا وصرنا نعيش الأزمة بتبنّينا لنمط الثقافة الغربية الاستعمارية التي غيبتنا عن واقعنا ومشاكلنا الحقيقية والمصيرية، ولنا أن نأخذ أمثلة في أشخاص بعض الرموز الأدبية. والسياسة في عصرنا التي أعرضت عن الأصيل الى التبعية وتحسب نفسها على الاسلام والمسلمين يقول طه حسين في كتابه «مقدمة الثقافة في مصر» : «لا ينبغي أن يفهم المصري من الكلمة التي قالها اسماعيل باشا وجعل بها مصر جزءا من أروبا أنها قد كانت فنا من فنون التمدّح أو لونا من ألوان المفاخرة، وإنما كانت مصر دائما جزءا من أروبا في كل ما يتصل بالحياة العقلية والثقافة على اختلاف فروعها وألوانها» وإلى جوار طه حسين سلامة موسى وأنصار له أرادوا تغيير حروف العربية بأحرف لاتينية كما فعل أتاتورك، وخالد مخمد خالد الذي خطا في بعض كتبه منحى تغريبيا واضحا خاصة في كتابه «من هنا نبدأ» الذي ردّ عليه الشيخ محمد الغزالي في كتابه تحت عنوان «من هنا نعلم» وهذا بورقيبة يسأله أحد الصحافيين الغربيين «لو خيرت بين الانتماء الى السوق الأروبية أو الجامعة العربية فماذا تختار فأجاب : «لو خيّرت لاخترت الأولى على الثانية» والقائمة تطول بأمثال هؤلا الذين يصدق فيهم قول بعضهم : «إن أصحاب الثقافة المترفة لا يفهمون الشعب ولا الشعب يفهمهم».

---

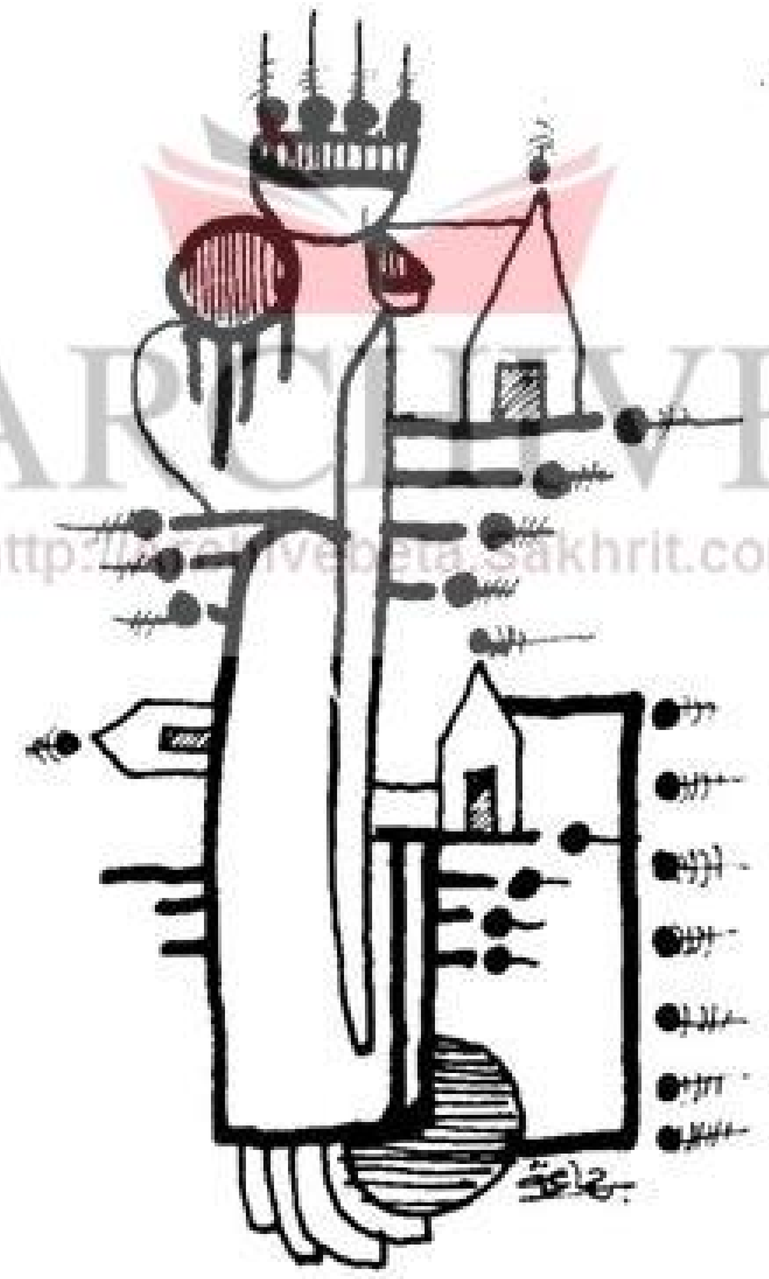
(1) النساء 89.

هذا وان أصابع الاتهام لا يمكن توجيهها أحديا إلى أصحاب الثقافة الغربية ولا إلى الغرب نفسه بل يمكن توجيهها توجيها مضاعفا الى أصحاب الثقافة التقليدية الذين آثروا الجمود وعدم الحركة فاسحين حلبة الصراع الى الطرف المقابل يشكل العقول والاجساد والضمائر وفق قوالبه ورؤاه وهكذا كل شعب تكون فيه قابلية الاحتواء أو الاستعمار يُحتوى ويستعمر.

إن السبب الرئيسي في تخلفنا عن مجاراة الانساق الثقافية والحضارية إنما يرجع بالاساس في نظري إلى ترك الدين جانبا والبحث عن الحلول لمشاكلنا من وراء البحار نجرب الحل تلو الحل فتسلمنا كل تجربة إلى خيبة جديدة، فأروبا حينما رفضت الدين فلأنه جعلها أسيرة التقليد والجمود، ورجال الدين الذين يمارسون الاستبداد السياسي باسم الدين ومحاكمة العلماء والمفكرين من أجل نتاجهم الموقظ للفكر والمحرك لمسار التاريخ من أمثال هارفي Harvey وقاليلي ،،، فحينما رفض الغرب الدين تحرّر وأثبت ذاته بناء على الفكر باشتراء أبناءه نضج العلم بأرواحهم وحياتهم بتعرضهم لمحاكم التفتيش والمعاناة التي بلغت الالقاء في النار والاحراق والسلخ، فتشكلت طبقة المفكرين والمثقفين الموسوعيين كـ «روسو» و «منتيسكيو» و «فولتير» و «كوبرنيكس» و «ديكارت» ... هؤلاء الافراد الذين كانوا مفكرين بالفعل بذلوا أرواحهم في سبيل الحرية والديمقراطية، وقد انطلق المفكرون العرب والاسلاميون من نفس الخطة التي انطلق منها الغرب وبإيعاز من مراكز الاستشراق والتنصير فتوصّلنا إلى نتيجة عكسية تماما لما توصّلت إليه أروبا، فهل نسطيع أن ندين طبقة المفكرين ونرتد الى التقليد والرجعية والخنوع الى الماضي وتقديسه وعيادة التاريخ والموتى ؟.

إن الغرب بشقيه الليبرالي والاشتراكي يرى : «ان غير الأروبيين هؤلاء ـ أي الذين صنعناهم ما داموا يعرفون لغاتنا ويروّجون أنماط الحياة عندنا في بيئاتهم، وما داموا يجعلون أنماط الحياة في استهلاكهم ولباسهم وطعامهم وبيوتهم مثل ما لدينا شكلا ولونا، وما داموا عصريين يقومون بتغيير الدين، والتقاليد والثقافة والذوق ... ما داموا أشباهنا فليبقوا فهم سوق لنا، إنه اذا ارتدى أحدهم ملابسه كما كان يرتديها في الماضي، وكان له ذوقه، وأكل طعامه، وسكن في داره فلن يشتري بعد منا شيئا».

إن شخصية العربي المسلم شبيهة الى حد بعيد بما أورده «سورديل» من مثال تفريع أحد الملاك أو محلل نفساني أحدا من شخصيته وإذلاله فيحسّ الثاني بالحفاوة وأن الأول من جنس أسمى Superman فتبقى العقدة ملازمة له تعوقه عن الحركة والحرية فينسى ثقافته ودينه وجنسه. لكن السؤال المطروح الى متى تدوم تلك العقدة ملازمة لنا ؟ وهل يعقل أن تبقى أمة بأسرها أسيرة الانساق والنماذج الغربية تدور في فلكها وتُسبح بحمدها ؟ وهل تنسى أو تتناسى وتتجاهل أنا كنّا أصيليين ـ والأصالة غير الرقي ـ نستهلك مما ننتج دون حاجة إلى الآخرين نقود العالم بنتاجنا وثقافتنا ؟.



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أناديك، ردّي بترنيمة أو صدى

شعر : **فاطمة الدريدي**

أنـاديـك ردّي
بترنيمـة أو صـدى
أنـاديـك لبّـي
فأنـت ضيـاء الصبـاح
ودفـء المسـاء
عـروسا تهاديت في موكب من عبيـر
بخضـرة عشب وزرقـة مـاء
وتفتـرّ عن ثـغـرك الحلو بسمـه
ويـأتـي جوابك نغمـه :
«أنـا الخيـر والخصب والأمنيات
أنـا زهـرة الحسن والحسن نغمـه»
فتيهـي وغنّـي أيـا فتنـة تشتـهى

★ ★ ★

أناديك يا زهرة[1] عطرها لا يغيب
قرنفلـة فـوق صدر الشمال الحبيب
تفـوح عبيرا تموج اخضرارا
بعشب نديّ ومرعى خصيب
أناديك يورق زهر الهوى
فردّي بترنيمة أو صدى

(1) بلدة زهرة مدين (باجة)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أناديك يا نجمة في جبين بلادي
تغنّى بها الفجر عند الصباح
تداعب كالحلم خفق فؤادي
وتشدو بلابلها في انشراح
وسلسالها العذب حلو المذاق
وشوقي الكبير لها في ازدياد
فديتك يا كنز قلبي الحبيب
ويا نغمتي العذبة الحانيه
أناديك ردّي ولبّي النداء
وبوحي أيا زهرة الحب يا غاليه
أناديك بوحي بأغنية أو صدى



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



أبو العلاء ناقدا في «رسالة الغفران»

بقلم : الحبيب الدريدي

● مدخل : النقد الأدبي عند العرب قبل القرن الرابع

لقد كان لثراء المادة الأدبية وتطور التفكير البلاغي عند العرب أكبر الأثر في نشأة النقد وتطوره. إذ ارتبط انتعاش الحركة النقدية بانتعاش علوم اللغة كالتفكير النحوي وعلوم القرآن من جهة وبوفرة الانتاج الأدبي من جهة ثانية.

وقد مرّ النقد الأدبي عند العرب بمراحل عدّة قبل القرن الرابع الذي ندرس. ففي الجاهلية لا يعثر الباحث على مظاهر نقد أدبي مؤسس أو حركة نقدية قائمة الذات بل لقد انتهت علاقة السامعين بالانتاج الأدبي عند التعبير عن الاعجاب أو الانكار في الأسواق والأندية والمجالس الخاصة. ويذكر ابن قتيبة في كتابه «الشعر والشعراء» أن النابغة الذبياني كان ناقدا يحكم بين الشعراء في سوق عكاظ. وقد كان الذوق والطابع الارتسامي السمة البارزة للأحكام النقدية التي اهتمت عصرئذ بالمعنى واللفظ والوزن وعمدت إلى المفاضلة بين الأبيات والقصائد المختلفة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبظهور القرآن ثم نشأة العلوم اللغوية في القرن الثاني شهد النقد الأدبي تطورا بيّنا أفصحت عنه مجموعة الكتب التي وضعها الجاحظ (البيان والتبيين) وعبد الله بن قتيبة (الشعر والشعراء) وعلى وجه الخصوص ابن سلاّم الجمحي المتوفى سنة اثنين وثلاثين ومائتين هجرية (طبقات فحول الشعراء).

ولعلّ أهمّ ما في طبقات ابن سلام الجمحي اعتماده الذوق والفطرة والتجربة أو الدربة مقاييس في نقد الشعر إلى جانب المقاييس اللغوية التي فرضتها روح العصر الذي ازدهرت خلاله حركة التدوين واللغة. هذا واعتمد ابن سلاّم كذلك في دراسة طبقاته التعرّض لأسماء الشعراء ثم الترجمة للأعلام وذكر أخبارهم ثمّ يخلص بعد ذلك إلى تقديم آرائه النقديّة في أشعارهم جاعلا الذوق وكلام المشاهير من علماء عصره عمدة هذه الآراء وأسّها.

أما «البيان والتبيين» للجاحظ فكتاب من الخطورة بمكان فقد بحث فيه أبو عثمان قضايا على درجة من الأهميّة في مقدمتها قضيّة اللفظ والمعنى فقد رأى الجاحظ أن بينهما تناسبا يحدّده المقام فالكلام البليغ يختلف باختلاف المتكلم والمخاطب. ومن هنا يتّضح سعي الجاحظ إلى تقنين مقاييس الفصل بين ما كان جيدا من الكلام وما كان رديئا وهو ما يجعلنا ننتهي إلى القول بأن كتاب «البيان والتبيين» كان بمثابة مرحلة تمهيدية في تاريخ النقد الأدبي العربي تلتها مرحلة التنظير ووضع القواعد التي نهضت بها كتب الوساطات والمفاضلات.

ARCHIVE

وعن ابن قتيبة، فإن الحديث حوله يقتضي الاشارة إلى إسهامه الفعلي في تطوير النقد الأدبي بوضع نظريته الشهيرة في بناء القصيدة العربية فضلا عن منهجه في استعراض الشعراء وذكر الأحكام المتواترة في شأنهم والاشارة إلى مواطن الجودة والاستحسان ومواقع الرداءة والاستهجان في أشعارهم.

- التنظير للنقد وتطبيقه في «رسالة الغفران»

ليس من الضير في شيء القول بأن «رسالة الغفران» لم تخلُ من جوانب نقديّة لا ندّعي أنها تشكّل نظرية متكاملة ومتماسكة في النقد الأدبي غير أن التغاضي عنها وإغفالها لها يعدّ في رأينا مجانبة لمسألة حريّة بالمعالجة وخليقة بالدرس والتقصّي.

فلئن لم يخصص المعرّي جانبا مستقلا في الكتاب يحمله آراءه النقديّة في الأدب فإننا نعثر ولو بشيء من العسر في مظان الرسالة على بعض المواقف في النقد الأدبي جاءت متفرقة ومبثوثة في أبواب مختلفة من الكتاب. فلا يجدر بنا حينئذ أن نُعدم ما ضمّنه أبو العلاء من آراء في النقد بحجّة ضِنّةِ كتابه بهذه الآراء.

فلقد وقفنا على الشيخ أبي العلاء يقيم الحدّ بين النّظم والنّثر في معرض حديثه عن امرىء القيس بن حجر إذ يقول : «ويسأل عن ''امرىء القيس بن حُجْر'' فيقال ها هو ذا بحيث يسمعك فيقول : ياأبا هند إن رواة البغداديين ينشدون في (قِفَانَبْكِ) هذه الأبيات بزيادة الواو في أولها أعني قولك :

وَكَأَنَّ ذُرَى رَأْسِ المُجَيْمِرِ غُدوةً

وكذلك :

وكَأَنَّ مَكاكِيَّ الْجِوَاءِ
وَكَأَنَّ السِّبَاعَ فِيه غَرْقَى

فيقول : أبعد الله أولئك! لقد أساءُوا الرواية وإذا فعلوا فأيُّ فرق يقع بين النّظم والنثر؟». فالنظم عنده ما استغْنينا فيه عمّا يحتاجه النّثر من أدوات لربط المعاني وتوثيقها ببعضها بعض ومن هنا يتضح أن الفرق بينهما تركيبي محض لا دخل للهيكل والبناء في صنعه. وثني هذا الحديث يحدّد أبو العلاء الآليات الواجب اعتمادها في العملية النقدية فنقف على ذكره للغريزة عندما يقول : «وإنّما ذلك شيء فعله من لا غريزة له في معرفة وزن القريض» أو حديثه عن الطبع كنظير للغريزة في قوله : «وكذلك قولُك في (الكلمة الصاديّة) :

على نِقْنِقٍ هيْقٍ لَـهُ ولِعِرْسِـــهِ بمُنْقَطِعِ الرَّعْسَاءَ بَيْضٌ رَصِيصُ

وقولك :

فأَسْقَى بهِ أُخْتِي ضَعِيفَةَ إِذْ نَأَتْ وإِذْ بَعُدَ المُزْدَارُ غَيْرَ الْقَرِيـضِ

في أشباهٍ لذلك، هل كانت غرائزُكم لا تحسّ بهذه الزّيادة؟ أم كنتم مطبوعين على إتيان مغامض الكلام وأنتم عالمون بما يقع فيه؟» لاخفاء أن الغريزة تمثّل الأسّ الأول من أسس النقد الأدبي ولا غرابة فهي أول ما يعتمد لتمييز النظم من النثر وهي منشأ الاحساس بما يعتري الأوزان من اختلال أو زيادة ونقصان ثم هي نظير الطبع والفطرة أي خلاف الصنعة ونقيضها ولعلّنا نقف هنا على أمر مهمّ وهو تقديم أبي العلاء للغريزة والطبع شرطين من شروط ممارسة العمليّة النقدية والنظر في كلام العرب.

ويترك أبو العلاء الكلام في الغريزة ليخلص للحديث عن الذّوق فيراه من الأمور اللازمة والآليات الواجبة في النقد. ولئن لم نجده مصرّحا بكلمة «الذوق» علنا ومجاهرة فلا نخاله إلا قاصدها عندما يقول : «فيقول ـ لا برح مِنْطِيقا بالحِكَمِ ـ : فأخبرني عن كلمتك (الصاديّة) و(الضاديّة) و(النونيّة) التي أوّلها :

لِمَــنْ طَلَلٌ أبْصَرْتُــهُ فَشَجَانِــي كَخطِّ زَبورٍ في عسيبِ يَمَانِ ؟

لقد جئت فيها بأشياء ينكرها السمع كقولك :

فَإِنْ أَمْسِ مَكْرُوبًا فَيَارُبَّ غَارَةٍ شَهِدْتُ عَلَى أَقَبَّ رِخْوِ اللَّبَانِ»

فكلمة «السمع» التي يستعملها أبو العلاء في هذا السياق لا تحيل على غير الذوق فهو الذي يُنكر ويعجب أو يستحسن ويستهجن. وهكذا نستطيع أن نُلحق الذوق بالغريزة والطبع لتكتمل في أذهاننا آليات النقد الأدبي عند المعري الذي نراه يعرض لعلاقة النسق بالوزن والوزن باللفظ فيقول : «فيقول ـ فرَّغَ الله ذِهْنَهُ للآداب ـ : لو شرحتُ لك ما قال النّحويّون في ذلك لعجِبْتَ وبعض المعلمين يُنْشِدُ قولك :

مِنَ السَّيْلِ والغُثَّاءِ فَلْكَةُ مِغْزَلِ

فيشدد الثّاء فيقول : إنَّ هذا لَجَهُول وهو نقيض الذين زادوا الواو في أوائل الأبيات : أولئك أرادوا النَّسَقَ فأفسدوا الوزْنَ وهذا البائس أراد أن يصحّح الزِّنَةَ فأفسد اللّفظَ».

فالنّسق Rythme ليس هو الوزن كما قد يذهب في اعتقاد الكثيرين إذ أنّه لا يعدو أن يكون موسيقى اللفظ التي يمكن الاستغناء عنها أو على الأحرى التنازل عليها من أجل صيانة الوزن أي المحافظة على نظام تفعيلات الخليل التي يعتبرها الشيخ أبو العلاء قيمة فنيّة أساسيّة لا يحسن غضّ النظر عليها. أما اللّفظ فمقدّس عنده وسلامته أهمّ من عدم اختلال الوزن. وانطلاقا من كل هذا يتسنى لنا أن نخرج بسلم قيّم يتبنّاه أبو العلاء ويحتل اللفظ فيه المكانة الأولى باعتباره ذا خطورة أكبر من تلك التي للوزن والنسق ويلي في الأهمية الوزنُ نظرا لتفضيله على النّسق الذي يبقى ثانويا ويبقى الحرص عليه ضعيفا ما لم تحصل سلامة اللفظ وتتحقق صحّة الوزن.

ولئن أشار أبو العلاء إلى الصنْعَة عرضا ولماما عندما فصّل القول بخصوص الغريزة فإنه عاد في موضع آخر للحديث عنها ومقابلتها بالعادة فقال : «وإنا لنروي لك بيتا ما هو في كلّ الرّوايات، وأظنّه مصنوعا لأن فيه ما لم تجْرِ عادتُكَ بمثْلِهِ وهو قولك :

وَعَمْرُو بنُ دَرْمَاءَ الهُمَامُ إِذَا غَدا بِصَارِمِهِ يَمْشِي كَمِشْيَـةِ قَسْوَرَا»

إن العادة هي الأساس في قول الشعر وما عداها فصنعة وتكلف وخروج عن طبيعة القول الجيّد وقواعده، إذ أنّ ما فارق العادة كان إلى الرداءة أقربَ وما صدر عنها كان بروح الشعر ألصقَ. وغير خفيّ أن أبا العلاء يفصل في هذا الموضع بين ما تجري به فطرة الشاعر وسليقته في قول الشعر وبين ما يعمد إلى تركيبه وإعمال الصنعة فيه.

ويحسن بنا أن نلفت انتباه القارىء الكريم هنا إلى كون المعرّي بعد أن اهتمّ في البداية بتقديم الآليات اللازمة لدخول عمليّة النقد شرع في التطبيق على امرىء القيس وهو ما يفسح أمامنا المجال لاستنتاج حضور النقد التطبيقي مع التنظير للنقد ـ ومن ثم تداخلهما ـ في رسالة الغفران.

ويؤكد ما ذهبنا إليه من تضارع التنظير للنقد مع تطبيقه قول أبي العلاء في معرض الحديث عن أبي كبير الهُذَلِيُّ : «فيقول : إنّك لَمِنْ أعلام هُذيل ولكني لم أوثِرْ قولكَ :

أزُهَيْرُ هل عنْ شَيْبَةٍ مِنْ مَعْدَلِ أم لا سَبِيلَ إِلَى الشَّبَـابِ الأوَّلِ؟

وقلتَ في الأخْرى :

أزُهَيْرُ هل عن شَيْبَةٍ مِنْ مَصْرِف أم لا خلُودَ لِعَاجِـزٍ مُتَكَلِّـــفِ

وقُلتَ في الثالثة :

أزُهَيْرُ هل عن شَيْبَةٍ مَنْ مَعْكَـــمِ

أي من مَحْبس فهذا يدُل على ضِيقِ عَطَنِكَ بالقَريض فَهلاً ابتدأت كلَّ قصيدة بفنٍّ؟!»

لا ريب أن أبا العلاء يهتمّ في هذا الموضع بتقييم تجربة أبي كبير الهذليّ الشعريّة فيسمه بقصر النَّفس وينعته بمحدوديّة القدرة على القول الشعري أي أنّه يُلحق به ضعف القريحة وسماجة الفنّ ذلك أنّ الهذليّ لم ترو له إلاّ هذه القصائد الثلاث ورائيّة مطالعها :

أزُهَيْرُ هل عن شَيْبَةٍ مِنْ مَقْصَرِ أمْ لا سَبِيلَ إِلَى الشَّبَابِ الْمُدْبِرِ

ولعل تشابه جميع هذه القصائد في مطالعها لفظا ومعنى وبناء ووزنا كفيل بإباحة مثل ذلك الحكم لأبي العلاء الذي يقيم الدليل مرة أخرى على أنه ينحو منحى التطبيق في النقد بعد ما مهّد لذلك نظريا.

ومن ملامح هذا النحو التطبيقي الذي ينتهجه الشيخ أبو العلاء اهتمامه الجلّي والبيّن بالمسائل النحوية والعروضية واستخدامها في عملياته النقديّة من ذلك قوله : «فيقول ـ ثَبَّتَ الله تعالى الاحسانَ عليه ـ : أخبرني عن قولك :

ألا رُبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٌ وَلاَ سِيَمَا يَوْم بِـدَارَةِ جُلْجُـــلِ

أتنشده :

لَكَ مِنْهُــنَّ صَالِـــحٍ

فتزاحفُ الكفَّ؟ أم تنشده على الرواية الأخرى؟ فأما يَوْمٌ فيجوز فيه النَّصْبُ

والخَفْضُ والرَّفْعُ. فَأما النّصبُ فعلَى ما يَجِبُ للمفعول من الظروف والعاملُ في الظّرف هاهنا فعل مُضْمَرٌ. فأمّا الرّفع فعلى أن تُجعلَ (ما) كافّة وما الكافّة عند بعض البصريين نكرةٍ وإذا كان الأمر كذلك فـ (هُوَ) بعدها مُضْمَرَةٌ وإذ خُفِض يوم فَـ (ما) من الزيادات ويُشدّدُ (سِيَّ) ويخَفَّف : فأمّا التشديد فهو اللُّغة العاليَةُ وبعض النّاس يخفِّف».

لا نخال أبا العلاء من خلال ما تقدّم إلا ساعيا إلي الظهور بمظهر الناقد الجامع المانع إذ أنّه لم يعد مكتفيا بتلك الآليات التي أسلفنا تقديمها والمتمثلة في الغريزة والفطرة والذوق فهي عاجزة بمفردها على النهوض بالعملية النقدية باعتبار اختلافها من ناقد إلى آخر وعليه فإن الممارسة السليمة للنقد والتي لا عسف فيها ولا تجنّ على الشاعر تقتضي إدخال آليات جديدة ألا وهي علوم اللغة التي ازدهرت أيّما ازدهار منذ القرن الثاني والثالث بظهور مدرستي الكوفة والبصرة واشتهار أعلام كثيرين بعلم النّحو والعروض والبلاغة. من هنا يتضح أن المعرّي يعلن مواكبته تمام المواكبة لهذه العلوم المستحدثة ولما يجدّ على تفريعاتها من جديد القواعد.

وقد زخرت «رسالة الغفران» بمناقشة المسائل النحوية والاستشهاد بآراء النحاة وأقوالهم كما جاءت حافلة بالمناظرات الشعرية والعروضية والاشارة إلى مواقع الزّحاف والأقواء في أقوال الشعراء وحسبنا أن نعرض في هذا النطاق لقول أبي العلاء ثني حديثه عن طرفة بن العبد البكري : «وشدَّ ما اختلف النحاة في قولِك :

أَلاَ أَيُّهَا الزَّاجِرِي أَحْضُرُ الْوَغَـى وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي؟

وأما سيبَوَيهِ فيكره نصب أحضرُ لأنَّهُ يَعْتَقِدُ أنّ عوامل الأفعال لا تُضْمَرُ وكان الكُوفِيُّونَ ينصِبُونَ أحضُرَ بالحرف المقدَّرِ ويقوِّي ذلك وأنْ أشْهَدَ اللذَّاتِ فجئت بِأنْ وليس هذا بِأبْعدِ من قوله :

مَشَائِيمُ لِيسُوا مصلحين قَبِيلَـــةً وَلاَ نَاعِـبَ إلاَّ بِبَيْنٍ غُرَابُهَـــا».

ويذهب أبو العلاء إلى شأو بعيد في نقده حتى يبلغ مرحلة وضع القيم الفنيّة للشعر القديم فيشير إلى ضعف بعض البحور والأوزان ومنها الرَّجزُ

فيقول : «ويقول : أخبرني عن التَّسْميط المنسوب إليك أصحيح هو عنك؟ وينشده الذي يَرويه بعضُ النّاس :

يَاصَحْبَنَـــا عَرِّجُـــوا تقِـــفْ بِكُـــمْ أُسُـــجْ
مَهرِيَّـــةٌ دُلُـــــجُ فـي سَيْـرِهَا مُـعُـــجْ
طالَتْ بِهَا الرِّحَلُ
فَعَرِّجُـــوا كُلُّهُـــمْ والهَـــمُّ يَشْغَلُهُـــمْ
وَالْعِـــيسُ تَحْمِلُهُـــمْ لَـــيْسَتْ تُعَلِّلُهُـــمْ
وَعَاجَتْ الرُّمُلُ
يَاقَـوْم إنَّ الْهَـــوَى إذَا أصابَ الْفَتَـــى
في الْقَلْبِ ثُمَّ ارْتَقَـى فَهَـدَّ بَـعْضَ الْقُـوَى
فَقَدْ هَوَى الرَّجُلُ

فيقول : لا والله ما سمعت هذا قطُّ وإنَّهُ لَقَرِيَ لم أسْلُكْهُ وإنَّ الْكَذِبَ لَكَثِيرٌ. وأحسَبُ هَذَا لِبَعْضِ شُعَرَاءِ الاسلامِ ولقد ظَلَمَنِي وأساء إلَيّ! أبعد كلمتي التي أوّلها :

ألا انعم صَباحًا أيُّها الطَّلَلُ الْبَالِـي وَهَلْ يَنْعَمَنْ مَنْ كانَ فِي العُصُرِ الخَالِي

وقولي :

خليليَّ مُرَّا بي على أمِّ جُنْدُبِ لأقْضِي حَاجَاتِ الْفُؤَادِ المُعَـذَّبِ

يقال لي مثل ذلك؟ والرَّجَزُ من أضعَفِ الشِّعْرِ وهذا الوزن من أضعف الرَّجَزِ» فلا غرو أن الشيخ أبا العلاء الذي أفصح عن ثقافة شعرية واسعة وإلمام بالموروث الثقافي الأدبي وأبان عن معرفة دقيقة بقضايا الشعر القديم وإحاطة كبيرة بجلّ ما يتعلق به من مسائل قد توفّق بحكم هذا الزاد المعرفي الغزير في مادّة الشعر الجاهلي والأموي إلى استنباط بعض القيم الفنيّة التي يرتكز عليها فنّ القول الشعري في تلك الأعصر.

ومن القيم الفنيّة الأخرى التي اهتدى أبو العلاء إلى استخراجها ضرورة تناسب المقدرة الشعرية والبلاغية مع المعنى المقصود إليه إذ يقول في

معرض حديثه عن بشار بن برد : «فيقول : وإنَّ في الجنَّة لأشربةً كثيرة غير الخمر فما فعل بَشَّار بْنُ بُرْدٍ؟ فإنَّ لَهُ عِنْدِي يدا ليست لغيره من وَلَدِ آدمَ : كان يفضّلني دون الشعراءِ وهو القائل :

إبْلِيسُ أَفْضَلُ مِنْ أَبِيكُم آدَمِ فَتَبَيَّنُو يَا مَعْشَرَ الأَشْرَارِ
النَّارُ عُنْصُرُهُ وآدَمُ طِينَةٌ والطِّينُ لاَ يَسْمُو سُمُوَّ النَّارِ

فلا يسكت من كلامه إلا ورجُلٌ في أصناف العذاب يغمّضُ عينيْهِ حتى لا ينظر إلى ما نزَلَ به من النِّقَمِ فيفتحهما الزَّبانيَّةُ بكلاليبَ من نارٍ وإذا هو بَشَّارُ بنُ برْدٍ قد أعطي عينين بعد الكَمَهِ لينظُرَ إلى ما نَزَلَ به من النَّكَالِ.

فيقول له ـ أعلى الله دَرَجَتُه ـ : يا أبا مُعَاذٍ لقد أَحْسَنْتَ في مقالك وأسأتَ في مُعْتَقَدِكَ» فالجملة الأخيرة وإن كانت تفتحُنا على قضيّة شائكة في الأدب والفنّ عموما وهي العلاقة القائمة بين الشعر وأشكال التعبير الفنّي من ناحية والضغوطات الدينية والأخلاقية والاجتماعية من ناحية أخرى فإنها تضعنا في المقابل أمام موقف نقدي قائم الذات يقضي بملاءمة القول الشعري الجيّد للمعنى المراد إبلاغه.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● خاتمـــة :

لئن آثرنا الوقوف عند هذا الحدّ والانتهاء إلى هذه المرحلة من تقصّي وتتبّع ملامح التنظير للنقد وتطبيقه واستنباط بعض قوانينه في رسالة الغفران فإن ذلك لا ينفي البتّة ثراء الرسالة بمظاهر أخرى تتعلق أساسا بالمنهج الاستدلالي والتحقيقي الذي يتبعه الشيخ أبو العلاء وبموقفه من ظاهرة الكذب والانتحال في الشعر وبرأيه في ما شاع عصرئذ من تنازع في الأبيات واختلاف في نسبتها لأصحابها إلى جانب قضايا أدبيّة ونقدية مشابهة استغل أبو العلاء الردّ على رسالة ابن القارح للادلاء بدلوه فيها.

★ المصدر : رسالة الغفران لأبي العلاء المعرّي ومعها نصّ محقق من «رسالة ابن القارح» ـ تحقيق وشرح الدكتورة عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطىء» ـ الطبعة السابعة ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ جانفي 1977.

وشاح على صدر زوجتي

شعر : **حسين العوري**

ألَا دثّريني ...
دعي راحتي بينَ كفّيكِ تقرأ سِفْر السّكون
احضني جبهتي ...
فالعواصف تحفر قلبي
ولفح الهواجر في الرّوح ينسف برد اليقينِ
أنا مثخن بالعروبة ... صبرا التي ...
جرّدتها العواصفُ
حَمّامنا «المستباح» ...
السكوت ...
النّباحُ
لقد عرّشت عوسجًا في جبيني
اسكبي صوتك العشب فوقَ جروحي
فقد احتمي من جنونِي

★ ★ ★

انهضي للحديقة ...
مدّي إلى كلّ زنبقةٍ في الطريق يدًا
كثّفي الخطو ...
تلك الفراشات ...
أجهدها السعيُ
فانتشرت في مدار الصّدى
خذيها إلى جذع زيتونةٍ ...
واسكبي من شذاها عليها
فقد تستردّ الغدًا

وحين تعودين شاحبة الصّوت
أدرك أنك قَسّمتِ نبضك بين العصافير
وزّعتِ روحكِ بين الجداول
فاعلن حبي وشاحًا على صدرك العربي ...
وأقرأ فاتحةً للسنابِلْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دراسة أدبيّة

الصّراع التّراجيدي في مسرحيّة « أهــل الكهــف »

لتوفيق الحكيم

بقلم : **عمّار العوني**

1) توفيق الحكيم ومسرحيّة أهل الكهف :

توفيق الحكيم أديب ومفكّر مصري معاصر، عرف بكتاباته المسرحية والقصصية الرمزية. ولقد ولد توفيق الحكيم في مدينة الاسكندرية سنة **1902**، وزاول تعلّمه الابتدائي بمدرسة دمنهور، والثانوي بمدينة القاهرة. والتحق الحكيم ـ بعد تحصله على الباكالوريا ـ بكلية الحقوق فنال منها الاجازة سنة **1924**.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي هذه المرحلة الدقيقة من حياته الجامعية كان توفيق الحكيم ميّالا الى المسرح ومشاهدة الفرق التمثيلية التي بدأت تظهر أنذاك في العالم العربي الاسلامي، ذلك أنه قد قدّم أولى محاولاته المسرحية للفرق المسرحية التي كانت منتشرة في القاهرة خصوصا مسرحيتا «**الضّيف الثقيل**» و «**المرأة الجديدة**». وقد انتقل توفيق إلى فرنسا منذ سنة **1924** وحتى سنة **1928** برغبة والده لدراسة القانون والعودة بشهادة الدكتوراه في الحقوق. إلا أن توفيق الحكيم قد انبهر هناك في باريس ـ عاصمته الغرب وأوربا ـ بالاداب الغربية والحركية التأليفية في المسرح في العالم الغربي خصوصا مسارح «الأديسون» و «الأوبرا» و «كورناي» التي كانت على حداثتها تعرف إقبالا شعبيا وفكريّا واضحا، فاكتسب بذلك توفيق الشابّ ـ إضافة إلى انكبابه على مطالعة المسرحيات الاغريقية والأوربية ـ ثقافة مسرحية وفنية أطلعته على

معالم المسرح الغربي الحديث وملامح المسرحيات الاغريقية الاسطورية القديمة المتعلقة بمضامين المأساة والتراجيديا والصراع المأساوي بين الانسان وبقية القوى الطبيعية كالآلهة والزمن والقدر والشرّ. ولعل مضامين المسارح الأوربية والاغريقية القديمة قد جعلت الحكيم يقتنع بضرورة إدخال فن المسرح إلى الأدب العربيّ ليعبّر من خلاله عن قضايا فلسفية ومسائل وجوديّة وما ورائية مجرّدة حول الكون والانسان والطبيعة. غير أنه وإن كانت للأبعاد الوجوديّة المتأتيّة من تأثيرات الفلسفة الغربية مكانة واضحة في فكر الحكيم المسرحي فإنه لا يمكن بأية حال تغييب جذور ثقافته الشرقية الاسلامية التي كان لها أثر في مجال مسرحياته ومواقفه الفلسفية من الانسان والكون وكيفية النهضة الحضارية العربية المعاصرة. ذلك أن ثقافة توفيق الحكيم رغم أبعادها الفلسفية الغربية المادية فإنها تبقى متأصّلة ومتجّذرة في البيئة الشرقية الاسلامية وهذا ما يتّضح أساسا من عناوين مسرحياته لاسيما مسرحية «**أهل الكهف**» المأخوذة من النص القرآني الاسلامي شكلا وهيكلا والتي تعدّ خير مترجم فنيّ عن الصراع التراجيدي في فكر توفيق الحكيم الفلسفي. فقد كتب الحكيم مسرحية «أهل الكهف» التي قال فيها طه حسين : «**إنها حدث في تاريخ الأدب العربي وإنها تضاهي أعمال فطاحل أدباء الغرب**» سنة 1928 ولم تصدر سوى سنة 1933. ولعل أبرز المعالم والمظاهر التي ميّزتها أنها مستمدّة من التراث الاسلامي ـ أي قصّة أصحاب الكهف الواردة في القرآن ـ مع أنها تتناول بالدّرس والاثارة قضيّة الصراع التراجيدي الذي هو أبرز مواضيع الفلسفات الغربية المادية الحديثة.

2) الصراع التراجيدي في مسرحية أهل الكهف :

ان توفيق الحكيم قد وضّح الموضوع الرئيسي الذي تحتويه مسرحياته الذهنية فقال في مقدّمة «الملك أوديب» : «**التراجيديا هي أساس كلّ أعمالي المسرحية ... التراجيديا هي صراع بين الانسان وقوى هي أكثر من الانسان ...**»[1].

---

(1) كتاب «الملك أوديب» ـ المقدّمة ـ (3) ـ توفيق الحكيم ـ ص 49 ـ طبعة دار الكتاب اللباني.

ولعل المتأمل في أعمال الحكيم المسرحية يلاحظ انطباق مفهوم الصّراع التراجيدي على مسرحياته الذهنية رغم مسحتها الشرقية الحضارية. ففي مسرحية أهل الكهف مثلا نلاحظ طغيان قضية صراع الانسان مع الزمن، في حين أن فكرة صراع الانسان مع الفن والكون والحياة ونزوعه الى الخلود تتبلور في تجربة «بجماليون» خلافا لمسرحية «شهرزاد» التي تتضح خلالها أبعاد صراع الانسان الدُامي بين الروح والجسد، بين العقل والقلب أو بين المرأة والمطلق.

فرغم أن عديد النّقاد والدارسين قد اتفقوا على أن تجربة أهل الكهف المسرحية يمكن أن تتناول في إطار حضاريّ، أو فلسفي أو إجتماعي فإننا نميل إلى القول بأن البعد الفلسفي هو الذي طغى على بقية الابعاد الأخرى بحيث تتضخم في نظرنا أبعاد ودلالات الصراع المأساوي بين الانسان والزمن، أو بعبارة أخرى سعي الكائن البشري للانعتاق من محدوديته وتحقيق الغلبة على قضية الزمن ومضامينها الفعلية والواقعية.

ومن الملاحظ أن توفيق الحكيم ذاته قد كتب في كتاب «التعادليّة» مبرزا أن قضية الصراع التراجيدي بين الانسان والزمن هي المحور الرئيسي لتجربة أبطال مسرحية «أهل الكهف» : «**أهل الكهف كافحوا ضد الزمن ولبث أحدهم متعلقا بالحياة يقارع الزمن بسيف بتّار القلب إلى آخر لحظة**»[2].

ذلك لأن أصحاب الكهف قد أفاقوا من نومهم العميق مستشعرين وطأة الزمن ومفعوله الجبّار في ذواتهم وحالتهم الخارجية لاسيما وان الراعي «يمليخا» قد قال مخاطبا صاحبيه اللذين لازالا مرابطين في الظلام : «**أنتما هنا في الظلام تنتظران الفجر والشّمس في كبد السّماء .. لقد داخلني شك في زمن إقامتنا بهذا الكهف .. ألا تذكر أني أتيته حليقا ؟**»[3] وهذا إضافة إلى اعتراف مرنوش بمفعول الزمن فيه : «**ألا تذكر أني أتيته**

---

(2) كتاب «التعادليّة ـ توفيق الحكيم (4) ـ ص 25.

(3) «أهل الكهف» ـ توفيق الحكيم ـ المطبعة النموذجية، مصر، ص 30 ـ 31.

حليقا ؟ ها أنذا الآن ولحيتي مرسلة وشعري يتدلى ما تنبّهت إلى ذلك إلا السّاعة وأنا أحك رأسي بظفري»[4].

وإذا كان أبطال الكهف قد أفاقوا على وطأة الزمن ومفعوله وتأثيره الواضح على هيئتهم الخارجية وأحاسيسهم المباشرة بعد نومهم الطويل الذي استمر ثلاثمائة سنة فإنهم لم يستسلموا أساسا لفعل القرون الثلاثة التي عاشوها في الظلام وإنما استيقظوا من نومهم ومعهم بذور الحيرة والتساؤلات والأحلام الواعيّة. ومن هنا يبدو أن أبطال الكهف الحكيمي قد تفطنوا الى ثقل القرون الثلاثة التي ناموا خلالها وما طرأ عليهم خلالها من تغيرات مظهريّة خصوصا لما عاد الرّاعي المؤمن «يمليخا» وأخبرهم بالحقيقة : «**أنتما في الظّلام تنتظران الفجر والشمس في كبد السّماء ...**»[5].

وهكذا فإنهم قد اقتنعوا بضرورة مواجهة الزمن ومجابهة الحقيقة بل والسّعي إلى الكفاح وتحقيق الاحلام والرّغبات الجامحة والرّوابط البشرية الدّافقة التي لازالت تحرّكم وتثير كوامنهم، وذلك بتطليق الكهف والخروج إلى مدينة طرسوس وبالتالي الاندماج في المجتمع الجديد المخالف لذلك الذي عايشوه قبل ثلاثة قرون من الزّمن.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إلّا أن القضيّة تكمن في الزمن: في هذه الفترة الطويلة من السنين التي تفصل يمليخا ومشلينيا ومرنوش والكلب قطمير عن الواقع الحقيقي الذي هو واقعهم ذلك الذي مضى منذ ثلاثمائة سنة. فهل سيتمكن أبطال الكهف الحكيمي من الانتصار على الزمن وتجاوز السنوات والحقب الطويلة التي تفصلهم عن زمنهم الحقيقي وبالتالي الاندماج في العالم والمجتمع الجديدين ؟ أم أنهم سيفشلون ويندحرون قبالة جبروت الزمن وسلطانه ومفعوله البتّار الذي يرفض التزامن ؟ وإلى أي حدّ يمكن أن نقيّم موقف توفيق الحكيم من صراع الانسان المأساوي مع الزمن ؟

---

(4) أهل الكهف ـ ص 30.
(5) «أهل الكهف» ـ توفيق الحكيم ـ ص 30.

حديث الدنيا

بقلم : **نور الدين بن بلقاسم**

كنت وصاحبي نسير في شارع طويل أطول من أيّام الحزن والكوابيس، كان يحدّثني في مواضيع شتّى، وكنت أفكّر في هموم أخرى، ولمّا رآني لا أهتم بما يقول مسك يدي ورجّني إلى الأمام وإلى الخلف منبّها، وألحّ قائلا :

ـ إنّ صمتك يثقل صدري، ألا تحدّثني بما يجول في أعماقك؟

قلت له وأنا أنظر إلى امتداد الشارع الطويل :

ـ عوامل كثيرة تحيّرني وتقلقني!..

قال :

ـ ألست تدعّي الصبر والثبات والقوّة ؟

أجبته :

ـ ما يحيّرني إحساسي أحيانا بأنني فوق الأرض ولكنني لست منها !..

أردف صاحبي متهكّما :

ـ أتعني أنّك غير موجود ؟

قلت والحزن يثقل كلماتي :

ـ أعني أنني لست فاعلا في الدنيا ولست مؤثرا في أحداثها !..

رد صاحبي بلهجة لا مبالية وهو يبتسم ابتسامة خبيثة :

ـ وماذا يضير في ذلك ما دمت أنت تعيش حياتك على علّاتها ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أجبتـــه :

- أحسّ أن العالم يحاصرني، ويخنق أنفاسي، ويعدّ خطواتي، وأحسّ أن قوانينه التي تواضع عليها الأقوياء تسير بالنّاس في الاتجاه المعاكس !..

ضحك صاحبي وقال :

- دعك من هذا الهراء وعش حياتك كما تتاح لك فإنها فرصة لن تعود !..

سألته قائلا :

- ماذا تعني بالعيش ؟

قال في لهجة المعلّم الخبير :

- أن تشبع بطنك، وتسكت جسدك، وتملأ جيبك !..

قلت له :

- هذا العيش هو عيش البهائم!.. ألذّ عيش عندي هو أن أدفع العربة إلى الأمام مع الدافعين، وأحلى عيش عندي هو أن أكون دوما كسيزيف ، أحاول باستمرار أن أعيد الصخرة مرّة بعد مرّة إلى قمّة الجبل كلّما تدحرجت إلى أسفل.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال صاحبي وهو يربت على كتفي :

- أنت تعذّب نفسك، وتحرق أيّامك بلا مقابل، فقوانين الدّنيا لن تتغيّر، ونظمها لن تتبدل، وظلمها لن ينتهي، وتفاوتها لن ينقلب إلى مساواة، وخبثها لن يتبدّل إلى طيبة؛ ورجسها لن يصبح طهارة، فالدّنيا هي الدّنيا منذ نشأتها وستبقى كذلك إلى أن تنتهي، لأنّ طبيعتها أن تكون كذلك !..

قلت لصاحبي في تعجّب :

- وما دور الفكر إذا كنّا نرضى أن تبقى الدنيا على ما هي عليه ؟

قال صاحبي :

- لا يستطيع الفكر أن يغيّر طبيعة الحياة، فدوره يقتصر على معرفة تطوّرها،

ورصد ناظورها، وتسجيل ذلك في قوانين سمّاها بقوانين العلم، وهي نفسها نسبيّة قابلة للتغيير برغم صفتها العلميّة؛ فأنت ترى إذن أن الفكر غير قادر عل تغيير طبيعة الأشياء !.. وأن الفكر مثل الحياة كذبة جميلة... وأنه مقتصر على المعرفة لا على التبجيل...

قلت لصاحبي في تهكّم :

ـ أراك تتفلسف !.. ألا تعتقد أن المعرفة هي كمال لشرف الانسان؟

أجاب محدّثي :

ـ إن معرفة الظّواهر أو معرفة الماهيّة لا تكسب الانسان شرف الانسانية !.. إنّ شرف الانسان في الكفاح الدؤوب، وإن كان هذا الكفاح خاسر في النهاية، محكوم عليه بالفشل...

قلت لصاحبي :

ـ أرى التغيير إلى الأفضل والأكمل لا يكون إلّا بتغيير الجوهر، وجوهر كل شيء باق على ما هو عليه منذ البدء، بما في ذلك الانسان، ولعلّ ذلك هو سبب تطور العالم من حيث القشرة لا الجوهر ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ردّ صاحبي قائلا:

ـ جوهر كل شيء باق كما وجد، ولكن التغيّر لا يقع إلا في القشر... فالانسان المعاصر هو الانسان الأول، لقد تبدّل في المظهر وأنماط العيش، ولكن السلوك بقي هو هو.

قلت لمحدّثي :

ـ ألا ترى أنك بهذا الحكم تعطل التطوّر البشري... وتنكر ما وفّره العلم الحديث من حياة جديدة للانسان ؟..

أجاب صاحبي :

ـ أنا لا أنكر شيئا... غير أنني أعتقد أن العلم ما هو إلا محاولة الانسان المستمرة لاكتشاف قوانين الطبيعة، والسيطرة عليها، والاستفادة منها، وقد

نجح الانسان في ذلك، ولكنّه لا يعني أنّه غيّر الطبيعة باكتشافه لقوانينها ـ كما أشرنا إلى ذلك سابقا ـ؛ فالجاذبية هي الجاذبيّة، والنار هي النار، وعالَم المكروبات الذي يسيطر على أجسامنا وطعامنا، ويملأ الهواء والماء والتراب هو نفسه حتى بعد اكتشافه، غير أن الهامّ في ذلك هو أنّ الانسان عرف المكروبات النافعة من المكروبات الضارّة، فانتفع بالنافع منها، وتجنّب الضارّ فيها، وقل مثل ذلك في كل ما اكتشفه الانسان...

علّقت محتجًا على قول محاوري :

- أنت بهذا تنكر على العقل دوره الباني لعصر العلم والتكنولوجيا، وتسند له دور الواصف لا غير...

أجاب محدّثي :

- للعقل دور الملاحظ الذي يحاول أن يستفيد ممّا يلاحظ.

قلت لصاحبي :

- إنك بهذا تجعل للعقل دور المتلقّي لا الباثّ، بينما لمسات العقل واضحة في تطوير المجتمع الانساني، ودوره خطير في رسم مساره !

استدرك محدّثي قائلا :

- كأنّي بك لم تفهم ما قلت لك من حديث؛ إن معرفة العقل لقوانين الطبيعة تجعل الانسان يسيطر عليها؛ والحياة الانسانيّة سلسلة من التجارب المتتالية، وهذه التجارب تجعل المعارف الانسانية تتراكم عبر العصور فينتفع الجيل اللاحق من تجارب الجيل السابق !...

قلت مستفزا محدثي :

- أنت لا تُسَلِّمُ كُليَّة بسيادة العقل وبنفوذه، ولعلك يا صاحبي من أهل اللذة لا تؤمن إلا بما هو متاح محسوس!.. ولولا خطر العقل لما حاربته السياسة !..

قال صاحبي في لهجة المتفلسف :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- العقل يبني وجوده على اليقين، ويقيم دعائمه على الكشف والبحث، أمّا السياسة فهي تبني وجودها على الفوضوية والتّلاعب بالأطراف المختلفة ذات المصالح المتعارضة؛ ومن ثمّة كان التقابل بين الفكر والسياسة، برغم أن السياسة منحى من مناحي الفكر...

قلت لمحاوري :

- أراك تتحامل على السياسة برغم أنّها في جوهرها أخلاق !..

علق صاحبي في لهجة احتجاج :

- السياسة أخلاق ؟ هذا أغرب ما سمعته منك !..

قلت مؤكّـدا :

- نعم السياسة لا تخرج عن صميم الأخلاق إذا كانت سياسة سماوية؛ أما إذا كانت السياسة وضعيّة فهي تسلك الغاية تبرّر الوسيلة، والأخلاق بالنّسبة لها من نوافل السلوك !..

قال صاحبي في غير اهتمام :

- السياسة بحث عن الانتفاع ولا علاقة لها بالأخلاق !.

أجبت محتّي :

- أنا لا أذهب إلى ما تقول؛ إن مثال الحضارة المرسوم في أذهان الناس لا يصلون إليه إلا بسلوك سياسي أمثل، فيه من الأخلاق الشيء الكثير، بحيث يلائم السياسي والخلق الرفيع بين رغبات الأفراد والطوائف، وبين مصلحة الأمّة، لا أن يوجّه كل شيء لمصلحته الخاصّة !..

صمت صاحبي برهة والتفت إليّ وقال :

- لكي تكون السياسة ذات أخلاق، يجب أن تكون الحكومة مؤلفة من العلماء النزهاء، الساعين إلى بناء الانسان روحا وفكرا، المتشبثين دوما بالحق والعدالة والمساواة، المقيمين الحدود على أنفسهم قبل غيرهم من الناس، وذلك حتى يمتثل الرعايا لأمرهم، ويسيروا معهم، ويأخذوا برأيهم.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قلت متعجبا :

ـ أمرك غريب يا هذا !... حكومة العلماء؟ أهناك حكومة الجهلة ؟

قال صاحبي بلهجة المجرّب :

ـ وما أكثرها !.. إن أولئك إلا نقلا بين الذين يقفزون على الحكم قفزا، عادة يكونون من أشباه العامّة، فيأتون من مناطق الظل إلى الحكم متعطشين إلى الشهرة والمجد؛.. فيسعون بحكم شغفهم بالظهور ـ إلى ركوب المصلحة العامّة لتحقيق مصالحهم الخاصّة؛ وهم لذلك يلهبون ظهور الناس بالسياط حتّى يسيّرونهم إلى الوجهة التي يريدونها... إن هؤلاء الذين يعطلون عربة التقدّم لسوء تدبيرهم، ولتمسّكهم بالرأي الواحد.

علقت قائلا :

ـ أنت تدعو إلى حكومة العلماء لتتجدد الآراء، وبتجددها تتفتّق الأذهان، وحينها ينتخب الرأي الأصلح ليكون الأجدر بالتنفيذ !..

قال صاحبي :

ـ أنا أردت هذا !.. وأردت شيئا آخر !..

قلت لصاحبي مازحا :

ـ لعله رأي آخر أغرب من رأيك في الدنيا !..

أجاب محدّثي :

ـ حكومة العلماء من صفاتها أن تكون ملتزمة بالقول والفعل، وأن يكون أعضاؤها نظيفي الأيدي، يسعون إلى استشارة حتّى الخامل من أهل الرأي.

قلت لمحاوري :

ـ أرى أن حكومة العلماء لا تأثير لها على العلاقة القائمة بين الفرد والدولة!..

رد صاحبي في لهجة جادّة :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- الدولة مجموعة مؤسسات، والمؤسسات قد تكون ناجحة وقد تكون فاشلة، ونجاحها وفشلها يتعلقان بمقدرة القائمين عليها، وإخلاص العاملين فيها، وإذا كانت الهيئة الحاكمة من العلماء فإنها لا تميل مع الأهواء في اختيار المسؤولين، وهي ستعمد إلى اختيار الأكفاء الراغبين في خدمة الناس؛ أما حكومة الانقلابيين فهي التي تختار القائمين على المؤسسات من الذين يخدمون مصالحها، دون اهتمام بتطوير الأمّة فكرا واقتصادا وحرّيات.

قلت لصاحبي مازحا :

- أراك قد سقطت في الصواب، وقد بدأت الحديث معي هازلا... حكومة العلماء يا هذا تقول : الرجل المناسب في المكان المناسب، ولو كان من أصحاب الرأي الآخر... أمّا حكومة الانقلابيين فهي تضع الرجل المناسب في المكان غير المناسب، لأنّ بقاءها مرهون بالفوضى التي تحدثها في صلب المجتمع؛.. فيبدو بذلك المجتمع كأنه يتقدّم وهو لا يتقدّم...

سأل صاحبي في صوت حازم :

- ما مقياس العالم الذي يقع اختياره في حكومة العلماء؟

قلت لصاحبي :

- التفكير المنظم هو ميزة العالم في حكومة العلماء، بحيث لا يترك العالم أفكاره حرّة طليقة، إمّا ينظّمها ويرتّبها في تخطيط مضبوط ينتفع به أهل الاختصاص وتنتفع به الأمة.

ومن مميزات العالم في حكومة العلماء أن يكون تفكيره شموليًا ويقينيًا، فلا يجب عليه أن يكتفي بالتخطيط لتطوير مؤسسات الدولة في فترة محدّدة... إنّما يجب أن يكون التفكير في التخطيط شاملا لبناء المؤسسات، أي منطبقا على جميع فترات التطور الاجتماعي...

قال صاحبي وقد عاد إلى لا مبالاته :

ـ أتريد بهذا أن تكون المؤسسات ثابتة سكونية لا تطوّر فيها، ولا تغيّر يطرأ عليها بتغيّر الأفراد؟

أجبت صاحبي وأنا أنظر إلى الناحية الثانية من الشارع :

ـ إن عدم الشموليّة في التفكير وعدم الدقة فيه تجعل مؤسسات الدولة تتأثر بالتخطيط الآني، فلا يحصل منها النفع المطلوب للأجيال المتعاقبة...

ضحك صاحبي ضحكة طويلة وقال :

ـ أراك دوما تضرب في التيه، لأنك ترغب في جمهورية لا وجود لها فوق الأرض، ولا يمكن أن توجد في مستقبل الأزمان، أنسيت ما قلته لك في بداية حوارنا من أنّ الدنيا ستبقى هي الدنيا بنقصها وصغائرها وكبائرها...

أجبت صاحبي في لهجة حادّة :

ـ أنت بهذا الهذيان تحتقر الانسان، لأن شرفه في صراعه الدائم للوصول إلى غاية المنتهى!

قال صاحبي في تبرّم :

ـ لقد أرهقتني بهذا الجدّ القاسي الذي لا شأن لي فيه...

أجبته وأنا أدير ظهري لأتركه واقفا وحده :

ـ وأنت قد ازدريت بنفسك بإغراقك في الهزل !...

قرنبالية في 1985/9/27

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مقطع آخر من قصيد عبد الصّبور الضائع

شعر : **محمد العياشي طاع الله**

... كم مرّة أسّست منفاي ؟!
وكم مرّة ؟
عجبتُ لأمر فوضاي،
وألغيت مواويلي
وغنيت لأنثاي

كم مرة أسست منفاي
وكم في بَاحَة الصّدر
وَأدْتُ صَوْتَ ليلاي
واعيتني المسافات
وكم عتّقت بلواي

كان بريقك آفلا
كان اعترافك لاهثا
أي المفازات اختفت فيك ولم تزل حرّى
تقطّعها رضابات الثمالات
لم تكن أبدا تعيسا بهذا الشكل،،
لم تكن أبدا رديئا بهذا الشكل،،
اسأل حياتك يا فتى
كَمْ أنْت مُنْسَحِب على خريف ربيعك
اسأل سؤالك مرتين
فلن تكون مشاكسا
ولن تكون معاكسا
اسأل خرابَك عن خَرَابِكَ
افرغ جرابك من جرابك
واعلن مجيئك عن رحيلك
كم كنت منشغلا بهذا الجرس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كم كنت متّهما بهذا الرّجس
كم كنت ملتحما بهذا السَّرْج
اسرجْ خيولَك يا فَتَى
إيّاك أن تبقَى هُنَا
فهنا المسافة أرهقتك
وهنا الخراب سيقتفيك
وهنا الذين اصطلوا بِنُخَاعِكَ دَمَّرُوكَ وأَحَجُّوكَ وأحرقوك
وأعلنوا عن كفرك
أهدرت عمري للذي قد وَزَّعُوهُ
وتَوَزَّعُوا عُهْرًا على ضفاف محيطة وخليجه
أهدرت أمري للذي قد أشعلوه بعنتريات الرَّدَاءَة والصَلف
أهدرت حلمي وانصفقت بلوعتي لأشجّ
صمتي في اشتعال ضجيجه
آهٍ
هم في دمائنا سافروا
من أجل حتفنا أجمعوا وتحالفوا
آه
سأقول آه !
اغْتيل في أحداقك الصُّحْب
اغتيل في أقْدَاحِكَ الصُّبح
كل الذين قد اقتفوا فيك البراءة
أسرجوا فيك الرّداءة
الفوز خانك والمَفَازَةُ عَسْلَجت بطريقك
الشَّوْكُ عَفَّرَ وِجْنَتَيْك
والمآقي دامية
اغتيل في احداقك الحُلْمُ الجَمِيلُ
وخاتلوا أوجاعك
لا أنت في حجم المرافيء كي تخاتلك النساء
ولست عنقودا من الشطآن
تَقْصِدُكَ الْغَوَانِي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بسم الله الرحمن الرحيم

إهتمام الصحابة بحديث النبي صلى الله عليه وسلم

بقلم الأستاذ : **عبد الكريم العطياوي**

إهتم الصحابة رضي الله عنهم بالحديث النبوي، لكونه مصدرا ثانيا من مصادر التشريع الاسلامي بعد القرآن الكريم، فظلوا يعملون للحصول عليه بشتى الطرق التالية :

1 ـ الرحلة في طلب الحديث

كانت موجودة في عهده صلى الله عليه وسلم، متمثلة في حركة الوفود التي تتصل به مباشرة، لمعرفة الأحكام الشرعية الجديدة، كما كان البعض من الصحابة يقطع الفيافي والمسافات الطويلة لسماع حديث نبوي أو للتأكد من ثبوته، أو للالتقاء بصحابي جليل، كان قد رحل الى أماكن بعيدة، قصد نشر الدعوة الاسلامية من ذلك :

أ) ما حدّث به عطاء بن أبي رياح : خرج أوب أيوب الأنصاري إلى عقبة بن عامر، يسأله عن حديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يبق أحد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم غيره وغير عقبة، فلما قدم إلى منزل مسلمة بن مخلد الأنصاري : ما جاء بك يا أبا أيوب ؟ فقال : حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يبق أحد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم غيري وغير عقبه، فابعث من يدلني على منزله، قال : فبعث معه من يدله على منزل عقبة، فأخبر عقبة، فعجل فخرج إليه فعانقه، فقال : ما جاء بك يا أبا أيوب ؟ فقال : حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق أحد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم غيري وغيرك في ستر المؤمن، قال عقبة : نعم سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول : «مَنْ سَتَرَ مؤمنا في الدنيا على خزية[1] ستره الله يوم القيامة». فقال له أبو أيوب : صدقتَ ـ ثم انصرف أبو أيوب الى راحلته، فركبها راجعا الى المدينة، فما أدركته جائزة مسلمة بن مخلد إلا بعريش مصر[2].

لقد خشي أبو أيوب أن يكون نسي شيئا من حديث : ستر المؤتمر فأحبّ أن يتأكد من ذلك، ويثبّت من صحة ما يحفظه عن الرسول الكريم، فرحل من المدينة المنورة الى مصر، يقطع الفيافي والقفار للتأكد من ثبوت ذلك الحديث المشار إليه آنفا.

ب) وعن ابن عقيل أن جابر بن عبد الله حدّثه : أنه بلغه حديث عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : «فابتعت بعيرا، فشددت إليه رحلي شهرا حتى قدمت الشام، فإذا عبد الله بن أنيس، فبعثت إليه أن جابرا بالباب، فرجع الرسول فقال : جابر بن عبد الله ؟ فقلت : نعم فخرج فاعتنقني ـ قلت : حديث بلغني لم أسمعه، خشيت أن أموت أو تموت، قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : «يحشر الله العبادَ ـ أو الناس عراةً غُرْلًا[3] بُهْمًا» قُلنا : ما بُهْمًا ؟ ـ قال : ليس معهم شيء، فيناديهم بصوت يسمعُه من بَعُدَ ... كما يسمعه من قَرُبَ : أنا الملكُ، لا ينبغي لأحد من أهل الجنّة يدخل الجنة، وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار يدخل النار، وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة، قلت وكيف ؟ وإنما نأتي الله عراة بُهْمًا ؟ قال : بالحسنات والسيئات»[4].

ج) ما روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال : «لو أعلم أحدًا أعلم بكتاب الله مِنّي تبلغه الإبل لأتيته».

2 ـ طلب الحديث ومذاكرته

أقبل الصحابة على رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل حدب وصوب، يسألونه عن الاسلام، فيعلنون إسلامهم، ثم ينطلقون الى قومهم

(1) الخزية : هو الشيء الذي يستحيا منه / أنظر لسان العرب 247/18.
(2) جامع بيان العلم وفضله 93/1 ـ 94.
(3) غولا جمع (أغول) وهو الذي لم يختن.
(4) الجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع / 168.

ليبلغوهم ما رأوا، وما سمعوا، ولم يكن ذلك مقصورا على الرجال فحسب، بل كان لأمهات المؤمنين فضل عظيم في تبليغ الدين ونشر السنّة بين نساء المسلمين، فقد كان بعض النساء يخجلن من أن يسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمورهن فيجدن عند أزواجه ما يشفي غليلهن، لأنهن على صلة دائمة به، يتعلمن منه الأحكام، وينقلن عنه ما لا يتاح لغيرهن نقله، وقد اشتهرت السيدة عائشة رضي الله عنها بعلمها الغزير، وحرصها على فهم الأحكام، فعن ابن مليكة : «أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وان النبي صلى الله عليه وسلم قال : «من حوسب عذّب، قالت عائشة، فَقُلْتُ أَوَ ليس يقول الله تعالى : «فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا»[5] قالت : فقال : «إنما ذلك العرض ولكن من نُوقِشَ الحساب يَهْلَك»[6] ـ فكانت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم محط أنظار طلاب العلم ومرجعهم في كثير من أمور دينهم.

كما كان للنساء أثر عظيم : في حفظ السنّة وتبليغها، لا يقل عن أثر الصحابة رضي الله عنهم، وقد رأينا حرصهن على حضور مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم حتى إذا ما رأين الرجال قد غلبوهن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ طَلَبْنَ منه أن يعيّن لهن جلسات خاصة بهن يسألنه فيها عن أمورهن، ويتعلّمن أحكام الاسلام، وبخاصة الأحكام المتعلقة بالنساء وحياتهن الزوجية.

ومن الطبيعي أن يهتم المسلمون بحفظ القرآن الكريم وتفسيره، وقد أجمع المحدثون على أنه لا ينبغي أن يطلب المرءُ الحديثَ إلا بعد قراءته القرآن وحفظه كله أو أكثره، ثم يبدأ أسماع الحديث وكتابته عن الشيوخ، وكان كثير من المحدثين لا يقبلون الطلاب في حلقاتهم الا إذا وثقوا من دراستهم القرآن الكريم وحفظ بعضه على الأقل، وفي هذا قال حفص بن غياث : أتيت الأعمش فقلت : حدثني، قال : أتحفظ القرآن ؟ قلت : لا ـ قال : اذهب، فاحفظ

---

(5) الانشقاق / 8.
(6) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري 72/3.

القرآن ـ ثم هلمّ أحدثك ـ قال : فذهبت فحفظت القرآن، ثم جئته، فاستقرأني، فقرأته، فحدثني»[7].

لم يكن طلاب العلم يكتفون بحضور مجلس الحديث ثم ينصرفون إلى أعمالهم حتى يحين المجلس القادم، من غير أن يذاكروا ما يسمعونه... فكانوا يحضرون في أوقات معينة يخصصها لهم استاذهم بعد صلاة الفجر مثلا حتى الضحى، أو بين الظهر والعصر، فيتسابق الطلاب الى الحلقة قبل انعقادها، ليتخذوا أماكنهم، حتى إذا ما حضر الاستاذ كان جميع الطلاب على استعداد لتلقي الحديث عنه، وحرصهم على حضور مجالسه، وحفظ ما يسمعونه ثم يذاكرونه، فعن أنس بن مالك قال : «كنا نكون عند النبي صلى الله عليه وسلم فنسمع منه الحديث فإذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه»[8].

3 ـ احتياط الصحابة في رواية الحديث

احتاط الصحابة في رواية الحديث النبوي عنه، خشية الوقوع في الخطأ، وخوفا من أن ينسب إلى السنّة المطهرة الكذب والتحريف، قال ابن قتيبة : «كان عمر شديد الانكار على من أكثر الرواية أو أتى بخبر في الحكم لا شاهد له عليه، ونسج على منواله جمع من الصحابة كأبي بكر والزبير وأبي عبيدة والعباس بن عبد المطلب، وكان البعض منهم لا يروي شيئا كسعيد بن زيد بن عمر وبن نفيل وهو أحد العشرة الشهود لهم بالجنة. تمسكا بما سمعه من رواية أنس الذي قال : «إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثا كثيرا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «من تعمّد عليّ كذبا فليتبوأ مقعده من النار». لأن كثرة الرواية كانت في نظر كثير منهم مظنّة الوقوع في الخطأ والكذب، ورواية الكذب منهي عنها كما قال عليه الصلاة والسلام : «من روى عني حديثا وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين» ـ وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : «كفى بالمرء كذبا أن يحدّث بكل ما سمع»[9].

وها هو عمر بن الخطاب ينفذ هذه التعاليم في وصيّته التي أوصى بها وفده الى الكوفة فيما روي عن قرظة بن كعب أنه قال : «بعثنا عمر بن

(7) المحدث الفاصل 1 / 19.
(8) انظر السنّة قبل التدوين / لمحمد الخطيب / 155 ـ 162.
(9) تذكرة الحفاظ 1 / 15.

الخطاب الى الكوفة، وشيعنا الى موضع قرب المدينة يقال له : صرار، قال : أتدرون لم مشيت معكم ؟ قال : قلنا : لحق صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولحق الأنصار، قال : لكني مشيت معكم لحديث أردت أن أحدثكم به، فأردت أن تحفظوه لممشاي معكم : إنكم تقدمون على قوم للقرآن في صدورهم هزيز كهزيز الموجل، فإذا رأوكم مدوا إليكم أعناقهم، وقالوا أصحاب محمد، فأقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا شريككم».

4 ـ تثبّت الصحابة في قبول الحديث

تجسّم هذا في تثبّت كبار الصحابة رضي الله عنهم.

أ) تثبّت أبي بكر الصديق

كان أبو بكر قدوة حسنة للمسلمين في المحافظة على السنّة والثبّت في قبول الأخبار خشية أن يقعوا في خطأ يؤدي بهم الى ما لا تحمد عقباه، فخطبهم قائلا : «إيّاكم والكذب، فإن الكذب يهدي الى الفجور، والفجور يهدي الى النار»[10] ولم يَعْنِ هذا سدا للباب على وتيرة واحدة، وإعراضا عن رواية الحديث، واكتفاء بما ورد في القرآن فحسب ـ قال الحافظ الذهبي : «إنّ مراد الصدّيق التثبّت في الأخبار والتحري، لا سدّ باب الرواية، ألا تراه كما نزل به أمر الجدة ولم يجده في الكتاب كيف سأل عنه في السنن، فلما أخبره ما اكتفى حتى استظهر بثقة آخر، ولم يقل حسبنا كتاب الله كما تقوله الخوارج»[11].

ب) تثبّت عمر بن الخطاب في قبول الأخبار

روى الامام البخاري عن أبي سعيد الخدري قال : «كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى الأشعري كأنّه مذعور، فقال : استأذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت فقال : ما منعك ؟ قلت : استأذنت ثلاثا فلمَ يؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع» ـ فقال : «والله لتقيمن عليه بيّنة، أمنكم

---

(10) تذكرة الحفاظ 1 / 4.

(11) تذكرة الحفاظ 3 / 4.

أحد سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أبيّ بن كعب : والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم، فقمت معه، فأخبرت عمر أن النبّي صلى الله عليه وسلم قال ذلك»[12] ـ فقال عمر لأبي موسى : أما أنّي لم أتّهمك، ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم»[13].

عن مالك بن أوس قال : سمعت عمر يقول لعبد الرحمن بن عوف وطلحه والزبير وسعد : نشدتكم بالله الذي تقوم السماء والأرض به أعلمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إنا لا نُورَثُ ما تركناه صدقة ؟ قالوا : اللهم نعم[14].

ج) تثبّت عثمان رضي الله عنه في الحديث

عن بشر بن سعيد قال : «أتى عثمان المقاعد، فدعا بوضوء، فتمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثا، ويديه ثلاثا ثلاثا ثم مسح برأسه، ورجليه ثلاثا ثلاثا، ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا يتوضّأ، يا هؤلاء أكذلك ؟ قالوا : نعم، لنفر من أصحاب رسول الله صلى عليه وسلم عنده»[15].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

د) تثبّت علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الحديث

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعني الله بما شاء منه، وإذا حدثني غيره استحلفته، فإذا حلف لي صدّقته، وإن أبا بكر حدثني، وصدق أبو بكر، أنه سمع النبي عليه الصلاة والسلام قال : «ما من رجل يذنب ذنبا فيتوضأ فيحسن الوضوء، ويصلي ركعتين فيستغفر الله عز وجل إلا غفر له»[16].

---

(12) صحيح البخاري بحاشية السندي 88/4، وأخرجه الامام مسلم في صحيح 1694/3.
(13) موطّأ الامام مالك 964/2.
(14) مسند الامام أحمد 228/1.
(15) مسند الامام أحمد 372/1.
(16) مسند الامام أحمد 154/1 ـ 174 و 178.

الخـلاصـــة

والحاصل لدينا ـ مما تقدم ـ أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم ـ قد تجلى اهتمامهم بالسنّة النبوية فيما يلي :

1 ـ الرحلة العسيرة والمضنية التي كانوا يقومون بها، لأجل الحصول على حديث نبوي واحد، أو للتحقّق من صحته وثبوته.

2 ـ السعي الجاد في طلبه، من الرجال والنساء، ومذاكرته في المجلس، حتى يبقى راسخا في الذاكرة.

3 ـ الاحتياط في قبول روايات الحديث النبوي، والتثبّت العلمي في صحته للبرهنة على :

أ) المحافظة على المصدر الثاني من مصادر الشريعة الاسلامية.

ب) السير على منوال الصحابة، لمن يأتي بعدهم، كالتابعين وتابعي التابعين، وأتباعهم الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

ج) التجرد الكامل للبحث العلمي الخالص من كل الأهواء الذاتية.

د) التمسك بطلب العلم لذاته كما قال تعالى : «وَقُلْ رَبِّي زِدْنِي عِلْمًا».

هـ) البرهنة على : أن عهد الصحابة، هو العهد المشرق بحق، المتمسك بالسعي الحثيث وراء المعرفة العلمية.

و) العمل الدؤوب من قبل علماء المسلمين على تنقية الحديث النبوي من كل الشوائب، وإخراجه في كتب صحيحة كصحيح البخاري ومسلم، وبقية الصحاح الأخرى، وذلك للرد على المناوئين وعلى من تحدثه نفسه الأمّارة بالسوء بالتشكيك والوضع في هذا التراث الخالد الذي تكفّل الله تعالى بحفظه الى يوم الدين : قال تعالى : «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يوحى»[17].

---

(17) النجم / 3 ـ 4.

ز) التشبث بمنهجية الصحابة رضي الله تعالى عنهم في رواية الحديث النبوي، حتى نثبت للخاص والعام أن السنّة النبوية مثل القرآن الكريم في وصولها إلينا، خالية من كل تغيير وتحريف.

ح) الرد على ادعاءات المستشرقين والمستغربين : بأن السنّة النبوية قد تطرق إليها الدسُّ والوضع والزيادة والتحريف المقصود من قبل روّاة وعلماء المسلمين في كتاباتهم وإملاءاتهم.

هذه دعوى مبتورة ومردودة لسهوهم أن السنّة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الاسلامي، وأنها لا تقل أهمية عن القرآن الكريم من حيث :

1) أن الله تعالى قد حثنا على التمسك بها خالصة صحيحة كما أخذها السلف الصالح قال تعالى : «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» (الحشر / 7).

2) أن النبي صلى الله عليه وسلم قد حذّرنا في رواية حديثه من الزيادة والكذب بقوله : «من تعمّد علي كذبا فليتبوّأ مقعده من النار» وقال أيضا : «من روى عني حديثا وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكذّابين».

3) أن علماء المسلمين قد اندفعوا بمنهجية علمية حديثة لتنقية ما علق بالحديث النبوي من الاضافات المقصودة أو غير المقصودة، وهي التي تعرف عندنا بمنهجية **الجرح والتعديل**.

هذه المنهجية الفريدة من نوعها قد طبّقها علماء المسلمين ميدانيا ـ في بحوثهم وتحريهم ـ على متن الحديث النبوي وسنده معا، مما أنتج كتبا صحيحة في الحديث النبوي بشهادة البعض من المستشرقين النزهاء الذين نذروا أنفسهم لبيان الحقائق العلمية كما هي.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشاعرُ والمجدُ والفاتورة

عبد المجيد النّفزي

شربتْ كل آثار فلوبير وقطفت «أزهار الشر» وقرأت «الأحمر والأسود» ... وترنّمت بكتابات جُبْران، وحفظت «أغاني الحياة» وهي تردّدُها بصوت مرتفع ـ مشفوع بحركات تعبيرية ـ في ممرّات «الحديقة الملكية لغرائب الحيوان والطير» إلى أن قالت لرفيقها يوما، وهما جالسان تحت ظلال الزيزفون، على مرْءًى من طائر النورس :

ـ أنا لا أريدك محدود الآفاق، خامل الذّكر «كَشَارلْ بوفري»، وقال لها :

ـ أنا أحبّك «إيمّا» حسّاسة، رقيقة، حالمة ... وسوف تجدين فِيَ ما يرضيكِ وأكثر. وقفا أمام قفص الدّبّ الأبيض، وقال : لا يعرّنك أني معلّم بمدرسة ريفية ... فكثير من العظماء عصاميون. وانطلقت أحلامهما تعانق القطب الشمالي بثلوجه الناصعة.

★ ★ ★

تزوجا زواجا عَاديا ... في صالة البلدية ... واحتفلا بعرسهما احتفالا حزينا ككل الاعراس في البلدة ... هو يفكر في تسديد الدّيون وكراء السيارات الناقلة للمحتفلات ... فيقسّم المرتّب ويستحثّ وصول منحة الانتاج ... ويصعد وينزل مع قوائم الارطمطيقا ... وهي ترتعش خوفا من الاختلال برجل لأول مرة في حياتها وتتذكر ما أوصتها به العجائز الراسخات في العلم ... وتأسف لِمَا جدّ من خصام بين العائلتين وما تُبودِل من عنف خفيف ... ثم مضت بهما الحياة ... لكن «إيمّا بوفاري» لم تغادر البيت.

كان يقرأ لها من خلال بُكاء الطفل قصائد من وضعه، مزيّنة بالبديع وكافرة بالخليل ... وحتى سيبويه ودينه ... وقالت له : «ما الفائدة من الكتابة ما دمت لا تنشر أشعارك ؟» وكان يعتذر لها ـ من خلال بكاء الطفل، بأن أصحاب الصحف لا ينشرون ما هو جيّد وعميق ... مجاراة لجهل قرّائهم ... إنهم تُجّارٌ يقدّمون النافق في سوق القراءة ... يحتكرون الصفحات لأنفسهم ولأصدقائهم أو لإعلانات التبغ الأمريكي.

لكنه كان يرسل مقالاته سرا الى إحدى الصحف فنشرت له مقالا عن مسرحية عرضت بالتلفاز بعد أن حذفت منه الثلثين، فرفرف قلبه واستأنف يقرأ لها من خلال بكاء الطفلين الأشعار الكافرة ... بعد أن كانت نهرته يوما، عن إزعاجها ...

★ ★ ★

إلى أن أعلن البرّاح، مذياع البلدة ... أن مولانا الأمير سوف يزور الاقليم لتفقّد رعاياه، وبهذا الحدث السعيد، يدعو حاكم الجهة كافة الشعراء المجيدين الى نصب سوق عكاظ وتلاوة معلقاتهم المشيدة بخصال جلالته، الممجدة لصنيعه على أن ينتخب شاعر البلاط أجودها وأحسنها وأعذبها ـ وأعذب الشعر أكذبه ـ لتتلى على المسامع الكريمة، وترصد لذلك جوائز هامة ـ من بيت المال.

فقال : هذه ليلتي وحلم حياتي، وعرض الأمر على الزوجة فأنامت الصبية الثلاثة باكرا ... ثم فكّر وقدّر : كيف أجعل قصيدتي الأحسن ؟ ـ خُذ المعنى ـ والمعاني مطروحة بالطريق ـ آخذها من مدح أبي الطيب سيف الدولة وكافور، وابن هانىء المعز وغيرهما، وأعوج باللغة عن المألوف ثم أجدّد أحجار العروض فمنذ بدء الخليقة والناس يكتبون الشعر إما وافرا وإما طويلا ... فلم لا أجعل القصيد يسبح في بحار الخليل قاطبة ؟.

★ ★ ★

قضى في صوغ القصيد شهورا، وتوصّل الى أن يكون نصف الصدر من الكامل ونصفه من الطويل وشطر العجز من البسيط والآخر من

الهزج ... وأخرجه في ثلاثين بيتا ونصف واحتوى على واحد وعشرين بحرا أكثرها مستحدث ... وقدّم العصماء إلى شاعر البلاط.

قرأ الخبير القصيد بصوت منخفض، ثم بصوت مسموع، وورّق كتب العروض وراجع البحور وما يطرأ عليها من العلّة وتمعّن في ما يجوز للشاعر وما لا يجوز واستشار الشاعر المساعد ثم رفع الأمر إلى وزير الشعر فأمر بتشكيل لجنة من فطاحل الشعراء واختلت بحجرة الشورى، وأطلّ رئيسها فأعاد إليه القصيد وقال :

ـ عملك هذا تشكر عليه لكننا لم نجد له سَمِيًا في ديوان العرب كله، ومولانا المعظّم لا يستسيغ هذا النمط.

قال : هو نمط أريد ...

قال : واصل ... واصل التجربة ...

قال : و ...

قال : تفضّل نرجو أن نقرأ لك قريبا.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

★ ★ ★

خرج الشاعر وهو يرى أحلامه تهاجر عنه بعيدا ... طوى الورقة ووضعها في جيبه فعثرت يده بأوراق نسي وجودها ... أخرجها وتفرّس فيها فكانت فاتورة الماء ... وفاتورة الكهرباء، وقسيمة ايجار تنتظر الدفع ... ووصلا من جمعية تدعوه الى التبرع بعشر ريالات لفائدة كرة القدم.

... دخل البيتَ واجما ... فوجد «ايما بوفاري» تعاقب الأطفال في حُنق ... ومن النافذة طالعته اللوحة المضيئة لصيدلية قريبة ... فانقبض قلبه ... امتدت أصابعه الى القصيد ... فمزّقه ... وجلس يُعدّ الدروس.

نحن القضية في مسرحية :
« أنا ... الحادثة »

بقلم : **عبد العزيز كمّون**
نص : **اسماعيل فهد اسماعيل**
الصياغة المسرحية : **المنجي بن ابراهيم**
تقديم : **المسرح الوطني التونسي**

(أحرزت على جائزة التقنية الركحية في أيام قرطاج المسرحية بتونس ll 1985) دراسة تحليلية من اعداد عبد العزيز كمّون.

«انّه هناك انسان ضائع مشلول الارادة، ضعيف الشخصية يكدح ويعمل ويناضل في مقابل حياة تافهة، تراوده الاحلام دون أن يحقّق منها شيئا، ومع ذلك فهو يصر على وجوده» تماما مثل المتّهم البريء في قضية الحال :

«كيف يمكن ان تضيع انسانية الانسان في هذا المجتمع، حتى يفقد كل معنى من معاني وجوده الانساني ؟ لماذا يتحول الانسان الى آلة تافهة في جهاز آلي هائل يشد إليه كل تلك الكائنات البشرية بذلك العنف والقسوة والسطوة ؟» وممارسات المتّهم في أن الحادثة تفرض كذلك نفس التساؤلات ..؟

مدخل

مواطن بسيط، أب لطفلين، من ذوي الدخل المحدود خبّاز كادح. يصادفه في طريقه ليلا رجل جريح، يهرع لمساعدته فيحتضر بين يديه، وهكذا بمجرد

ما يتولى اعلام مصالح الأمن بالحادثة تلصق به التهمة ويصبح هو ـ لا أحد سواه ـ الحادثة؛ أي صاحب جريمة قتل وما تستلزمه من تحقيق حول نسبتها وارتكابها وما يعقب ذلك من تحليل للدوافع وتقدير للجزاء. وبالفعل يتم ايقافه وعرضه على المحقّقين ويتعرض الى شتى أنواع التعذيب في سبيل أن يعترف بنسبة التهمة إليه، لكن يصمد ويقاوم بروح عالية حتى إذا استيئس من الخلاص قرر أن يكذب فيعترف بأن ابن عمه هو مرتكب الجريمة الحقيقي اذ يقول «قررت أن يكون ابن عمي». لكن في نفس الوقت ثمة متهم آخر ارغم على الاعتراف وطلب من المحققين ايقاف التحقيق مع الخبّاز.

هذه الحادثة تحاك خيوطها في نفس الوقت الذي تجري فيه «حادثات» و «حوادث» على صعيد أشمل قد يكون عربيا وربما دوليا مما يضفي على الحادثة أبعادا هامة ويجعل من طبيعتها وأطوارها قضية شائكة علاوة على انها دراما ساخنة يحتدم فيها الصراع بين قوى شتّى وتتظافر فيها الرموز لتقول أشياء عديدة للانسان والانسان العربي بالخصوص.

وقبل أن نغوص في العمق الفكري والفنّي الكامنين في طوايا المسرحية وخلفياتها، نشير في لمحة خاطفة للمسرح الرّوائي الذي هو بعض سماتها ...

ظلّت المسرحية والرواية فنيّن من فنون الأدب، يستقل أحدهما عن الآخر ويحتفظ كل بخصائصه. ظلّ الأمر كذلك زمنا طويلا رغم ما عرفته الأشكال المسرحية والرّوائية من تطور وتنوع لكن المسافة بينهما بقيت واضحة على الرغم من تشابه بعض المقوّمات والمصطلحات كالحدث والحوار والشخصية بل رغم ما يحشر فيه الانتاج المسرحي والروائي من أصناف ويطلق عليه من أسماء المذاهب والتيارات والمدارس بل وكذلك رغم تشابه الفكرة والموضوع وتجانس الحدث والشخصية في الكثير من المسرحيات والروايات فقد ظل كلّ فن قائما بذاته.

ولما كانت العقود الأخيرة من هذا القرن هي الفرصة المتاحة لتجديد التعابير الفنية وكسر الجدران المصطنعة بين الفنون وصارت تسيطر عليها الصبغة التجريبية ـ بل صار الفن شبيها الى حد ما بالكائن الطبيعي الذي

يشرح ويدرس في المخبر وأصبحنا نطلق على الأعمال الطلائعية صفة «المخبريّة» ـ كان لا بدّ من تحطيم خط التوازي القائم بين المسرحية والرواية ـ وليس هنا مجال الحديث عن العوامل والمؤثرات التي حدتْ بالفنّ نحو هذه الثورة؛ وإنما نشير الى أن النتائج السياسية والتاريخية المتمخضة عن الثورات والحروب التي عرفها المجتمع البشري منذ القرن التاسع عشر حتى أواسط هذا القرن هي التي أفضت الى الثورة الفنية. الثورة في التاريخ والواقع كانت إذا مصدرا للثورة في الفكر والانتاج والزعامة أي في الفلسفة والاقتصاد والسياسة، ثم كانتا ـ فيما بعد ـ سببا ممهدا للثورة في الفن والأدب.

لقد عرف المسرح على الصعيد الأدبي والفني معا ثورات عديدة عبر تاريخه الطويل ولعل أشهرها تلك التي جاءت عن طريق شكسبير يوم أعلن تمرده على قواعد المسرح الاغريقي بتحطيم الوحدات الثلاث (الحدث ـ الزمان ـ المكان) ويوم استقل المسرح عن فنون الرقص والموسيقى بعد أن ظهر فن الباليه وفن الأوبيرات ـ لكن لا تساوي شيئا هذه المتغيرات المتفاوتة في قيمتها وحدّتها بالقياس لما عرفه المسرح على يد براشت وسرعة النسق في التحول والتطور الذين يشهدهما منذ ذلك الوقت وما صارت تتسم به التجربة المسرحية من ثراء وتنوّع. وهو نسق ـ كما أسلفنا ـ مواكب لنسق التحول والتطور الذي شهدته الانسانية ولا يزال حتى الآن

ولم يكن من نتائج ذلك التقارب وربّما التزاوج والمصاهرة بين الفنون فحسب وإنما صارت هذه وحدة عضوية متكاملة. فقد كنا نقرأ «دون كيخوتة» لسرفانتاس إذا طلبنا القراءة، ونروح الى المسرح إذا أردنا أن نشاهد «هرباقون»[1] أمّا اليوم فالمسرحية تقرأ كالرواية بينما تشخص هذه مسرحيا. فباستطاعتنا أن نوظّف جملة من الأدوات الفنية كي نمثّل دون كيخوتة في خضم الأحداث التي رسمها المؤلف في روايته ونستطيع ـ إلى حدّ ما أن نبلغها الى الجمهور من أعلى الركح كما لو كانت تبلغه عن

---

(1) بطل مسرحية «البخيل» لموليار.

طريق المطالعة أو قل ربما تتظافر القراءة والمشاهدة لمزيد من ابلاغ فكر الكاتب وفنّه مع ما يقدّمه الاخراج من إضافات في هذا الصدد.

هذا ما حاول المخرج أن يقدم لنا في هذه المسرحية. فقد انطلق من أحداث معيّنة ذات صبغة روائية محضة وحاول أن يفككها ويعيد تركيبها على نحو يتوافق مع الأداء المسرحي وابلاغه. لذلك فقد لجأ الى صياغة الرواية في ثمانية وعشرين مشهدا.

المنهج ...

جاء في الملف الفني «وإذا ما حاولنا تطبيق هذه الطريقة الكتابية والسردية (أي الروائية) في المسرح بكل ما تحمله من دلالات واعتمادا على ان الاخراج المسرحي هو أيضا دلالات فكرية تبرز بشكل مرئي على خشبة المسرح فإنه يستوجب أولا : التمعن في الصور التي يصنعها أمامنا الكاتب والتعمق في مفاهيمها التي تبدو أحيانا خفية وأحيانا غامضة وصعبة المراس أحيانا أخرى.

ثانيا : تذليل هذه الصعوبات التي تتراءى للبعض من خلال كتابة الرواية وتكييفها مع الوسائل التعبيرية في الانتاج المسرحي.

ثالثا : توضيح المفهوم الذي أراد أن يبرزه الكاتب.

رابعا : توضيح المفهوم الذي نريد أن نقوله من خلال اخراج المسرحية» وكل ذلك يتطلب إعادة كتابة الرواية برؤية جديدة حسب قراءة المخرج والمجموعة العاملة والمسؤولة على تقديم العمل.

وتستنتج من هذا التحديد المنهجي في التعامل مع النص الروائي ما يلي :

أولا على صعيد الفكرة : احساس المجموعة بوجود «صعوبات» في الرواية تصل الى حد الغموض الذي يستوجب ـ في المقابل ـ «التوضيح» ومعنى هذا أن المشاهدة قد تكون أشد قدرة على الابلاغ من القراءة. وبالتالي

فالمسرحية جديرة بأن تنير فكر الرواية وأن تضيف الى هذا الفكر شيئا من عنديات الاخراج.

ثانيا على صعيد الشكل : المسرح الروائي لا يعني انتقاء مجموعة من الأحداث أو الأفكار والتركيز عليها ـ دون سواها ـ أثناء الاخراج بقدر ما يعني الوفاء التام لما تقوم عليه الرواية من فكر وفن والحرص على ما يمكن أن يضيفه لها المسرح أيضا على الصعيد الفكري والفني معا.

وتبعا لهذا الاختيار ـ أي المنهج ـ لم يلجأ المخرج الى محاكاة الفنيّة الروائية الكلاسيكية التي تعتمد الترتيب المنطقي في صياغة الأحداث وتوجيهها ثم تنامي الأزمة فتطورها نحو النهاية المرسومة لها بل حاول أن يجتهد في تأسيس بنية متميّزة تتسم بالحدّة والاثارة بما يجعلها الأداة الأولى في التعبير عن جوهر الفكرة وبما يضفي عليها روح التكنيك الابداعي في الأدب والسينما. فجاء الحدث متداخلا في سيره بل متقطعا في صوره ومتناقضا في مصدره، فبعد أن نكون مع المتهم وهو موقوف ونتهيّأ للتحقيق معه سواء لادانته أو إطلاق سراحه نعود الى الماضي (بطريقة الفلاش باك) لنتعرّف عن شيء من هويته، ثم هذا التعرف ليس جاهزا أو تاما وانما نكاد نختلسه من المتهم المهموم في وحدته وتذكره بين الحين والآخر، إذ تتخلّل ذك التعرف مداخلات المحققين وجو الحصار الذي يفرضه إطار الايقاف والتحقيق، ثم نحن لا نستقي المعلومات عن تلك الهوية أو الحادثة أو التهمة من مصدر واحد وانما من مواقع وزوايا مختلفة بل من طبيعة الشخصيات وممارساتها في الوعي واللاشعور بواسطة المونولوج والفلاش باك وتداعي الأفكار والمزاوجة بين العناصر الزمكانية المتقابلة كالبيت والمخبز من جهة وغرف التحقيق والتعذيب من جهة أخرى أو ساعة الأنس مع الأم والأسرة وساعة الانهيار من شدّة الألم.

ونتابع فيما يلي خط الحدث من المشهد الأول الى المشهد الثامن والعشرين :

1 ـ المتهم موقوف.

2 ـ لمحة عن هويته.
3 ـ الإصرار على اتهامه.
4 و 5 ـ لمحة أخرى عن هويته.
6 ـ المتهم يتأهب للتحقيق.
7 ـ حالته النفسية.
8 ـ المتهم يؤكد براءته.
9 ـ الادانة الخاطئة بواسطة الكلب.
10 ـ الحالة النفسية المترتبة عن ذلك.
11 ـ تصعيد تلك الحالة وتزامن الماضي والحاضر في وجدان المتهم على صعيد المعاناة.
12 ـ مشهد من حياة الموقوف (طلب قضاء الضرورة البشرية والاسترخاص لذلك).
13 ـ مشهد الحادثة.
14 ـ التمهيد للتعذيب.
15 ـ غياب القانون الذي يحمي حقوق المتهم كاعلام أهله بأنه موقوف مثلا.
16 ـ المشهد الأول للتعذيب بالأسلاك الكهربائية والانعكاسات النفسانية والجسمانية لذلك.
17 ـ التعذيب المعنوي بمحاولة ارهاق وعي المتهم واستفزازه الى حد التناقض فالاعتراف.
18 ـ تواصل التعذيب ثم التركيز على المقاومة كرد فعل على التعذيب.
19 و 20 ـ تأكيد نفس المعنى أساسا.
21 ـ صمود المتهم وثباته على المبدأ أي الايمان بالقيم والشرعية فلا كذب ولا تخاذل.
22 ـ فتور المقاومة.
23 ـ ماضي المتهم من خلال تذكر أمه والصبر على المعاناة.
24 ـ الحالة النفسية بعد التعذيب ونتيجتها الهذيان.
25 ـ تمادي الصراع بين التعذيب والمقاومة.
26 ـ .....

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

27 ـ انهيار المتهم والأمل في تواصل الصمود.
28 ـ اضطراره الى الاعتراف (المكذوب) في الوقت الذي قد اجبر فيه متهم آخر في ذات القضية على نفس الاعتراف.

وانطلاقا من مقارنة التقطيع المشهدي بالبنية الروائية للأحداث ومدى الاستفادة من هذه البنية في اعداد الرواية للمسرح سَنُحَاوِلُ البحث في قيمة الاعداد المسرحي انطلاقا من المادة المسرحية ذاتها بما استملت عليه من أحداث وشخصيات وأدوات ومعدّات.

فنيّات البنية المسرحية

إذا تأملنا في تلك المشاهد وما يبدو فيها للوهلة الأولى من التكرار والتمطيط والتعقيد، نستطيع أن نستخلص ما يلي :

1 ـ **المتهم** ليس الشخصية البارزة فحسب وإنما هي حاضرة في كل المشاهد بدون استثناء وهذا يعني أنها الشخصية العمود في البناء المسرحي، كما أنها الشخصية المصور من حيث الفكرة والصراع. وهذا يعني أن المتفرج ممسك بزمام المتابعة وأن الحدث بارز في مستوى الخط الرئيسي مهما بدا في سيره من التضارب والالتواء.

2 ـ على الرغم من التداخل الزمني في تركيب الحدث الذي يرقى الى تجاوز معنى الظرفية فإنه بإمكاننا أن نتمعّن توزعه بين أطوار ثلاث : ما قبل الحادثة ـ الحادثة ـ ما بعد الحادثة.

الطور الأول :

حياة مليئة بالكدّ الممزوج بالمتعة والأمل لا تتوفر للانسان إلا بعد الايمان بشرف الوجود وحب الآخرين (الأم ـ الزوجة ـ الأبناء) ومد يد المساعدة لهم (القتيل).

الطور الثاني :

عندما نحس بالكرامة يأتي فيها شعور المناصرة والتعاطف مع الضعفاء والمضرورين فنهبّ لخدمتهم وقد غلب علينا نكران الذات. وتركز اهتمامنا بالآخر فإذا الحسنة تنقلب سيئة والنجدة تؤدي الى الشك والاتهام. وتلك هي البداية المأسوية التي استقطبت مصير المتهم، لكنه لا يثور على هذا الوضع وإنما يصمد لأن قَدَرُه في الحياة أن يؤازر الآخرين مهما يكلفه ذلك من تبعات. فليس ثمّة في عمله ما يستوجب النّدم وهذا يعطيه طول النفس الذي يؤهله لتحمل وضعه الجديد.

الطور الثالث :

وهو جوهر الصراع في المسرحية إذ تصور لنا الأحداث ظروف الايقاف وأساليب التحقيق وأنواع التعذيب. وتثبت لنا في المقابل صدق البراءة وعزيمة الصبر والصمود فالاعتراف وتصوّر ـ كذلك ـ الادانة للطرف المقابل.

3 ـ الصراع قائم بين فرد ومجموعة فهو مختل منذ البداية بحكم عدم التكافىء بين أطرافه. وهذا الاختلال يؤدي معنى الحيف والتسلط في قضية الحال. ويتضح جليا أن درس فكرة الصراع كان قيّما في بلورة معانيه داخل البنية المسرحية بحيث نستطيع أن نتبين فترات ثلاث :

ـ ما قبل التعذيب (المشاهد من 1 إلى 15).

ـ التعذيب (المشاهد من 16 الى 24).

الفترة الأولى :

ويتدرّج فيها الصراع عبر النقاط التالية :

التهمة : المشهد 1.

الايقاف : المشهد 1 و 2.

التحقيق : المشهد 3 و 8.

الادانة : المشهد 9.

وفي الطرف المقابل نلمس الأدلة على براءة المتهم من خلال تعرفنا على هويته وحالته النفسية وردود فعله إزاء الموقف وملابسات الظروف التي أحاطت به. لكننا نثق مع ذلك في قدرته على احتمال المواجهة التي ينخرم فيها ميزان القوى المتصارعة. وتكمن المأساة في تنوّع مصادر تلك القوى، فبينما يتسلح المتّهم (بكسر الهاء) بالقرار (أي قرار الايقاف دون ضبط قانوني) والأجهزة (أدوات التحقيق وأساليبه) نرى أن المتهم لا يملك من القوة سوى الارادة وطول النفس على احتمال وضع غير مشروع لكنه محتم. هذا الصراع بين قوة مادية وأخرى معنوية لا يعني انهزام هذه السريع مهما كان تفوّق تلك وطاقة تدميرها. نلمس كذلك اختلال التوازن في القوى المتقابلة حتى من الناحية العددية لافراد كليهما فهي لعبة «الواحد ضد الجميع» وعلى المتهم أن يواجه أربعة محققين. وطبيعة هذه المواجهة تضيف الكثير الى البعد المأسوي في الصراع. وهذا التدرج في صياغة عناصر الصراع وتحديد مواقعها ينفي الافتعال عن تبرير تواجدها ويَشدّنا الى الخطوة الموالية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفترة الثانية :

يستغرق التعذيب أكثر من مشهد وهو يعني استقرارا زمنيا لدرجة من الحدّة قد بلغها الصراع مما يثير فينا شعورا بالارهاق ويجعلنا في وضع أكثر تعاطف مع «الشخصية المعذّبة» في شخص المتهم. ويشمل التعذيب كيانه كله الجسد والروح معا، وبشتى الوسائل المادية والمعنوية إذ تحاول الأجهزة المستخدمة ضدّه «سعق الجسد ابتداء من الرأس فالأطراف ثم بقية الهيكل» وفي المقابل «يظل المتهم يقاوم ويبحث عن حماية رأسه بالخصوص». فالمقاومة هنا لا تعني شيئا من تدبير العقل أو قوة العضلات؛ وإنما هي الصبر عن الألم والمعاناة، لكن إلى متى ؟.

الفترة الثالثة :

بعد المضيّ في تعذيبه مدى بعيدا، رأى المتهم أن يعترف بفعلة لم يرتكبها ولم يشهد ارتكابها. لكن لم يأت هذا الموقف نتيجة ضعف أو تخاذل وإنما هو اختيار بعد اقتناع المتهم «بالفعل المبث» الذي يمارسه خصومه فقد برهن على براءته ما أمكنه ذلك قبل التعذيب وأثناءه لكن يبدو أنهم صمموا على محقه مهما يكن من أمر فالمتهم لا يكذب أمام القضايا الحقيقية والتي يؤمن بها على عكس المحقق المدني الذي يستخدم آليا طُرُقَه التي لا ترمي إلا لاكراه المتهم على الاعتراف بصرف النظر عن مصداقية مشاعره وعن جدية موقفه وصرامة مقاومته. يعترف المتهم بما لا يجوز منطقيا أن يعترف به لكن العيث الذي يرفضه المنطق قد تفرضه حتمية الواقع وتسلطه بكيفية لا تدع مجالا لمعارضته أو المبادرة باختيار حرّ مستقل، ومع ذلك فمن هو المهزوم ومن هو المنتصر في هذا الصراع ؟ يجيب المخرج بوضوح عن هذا السؤال عندما يدين أصحاب تلك الأجهزة بأن يجعل متهمين يعترفان بجريمة لم ترتكب إلا مرة واحدة.

ARCHIVE

ولقد تدعّم المعنى السياسي للحادثة بأن جعل المخرج شبح تلك الاحداث الكبرى يخيّم من حين لآخر على سير التحقيق وخاصة في المشهد الواحد والعشرين عندما «يشير الى تناقضات الأخبار والبيانات مع حالة المتهم وطلباته المشروعة». فقد بدأ هذا الأخير يتعرّى ـ من الآن فصاعدا ـ من هويته كخبّاز «يحمل القوت والنجدة للآخرين» وابن بارّ بأمّه وزوج وفيّ لزوجته وأب عطوف على ابنه، ليحوي كل هذه الهويّات وما شابهها متفرّقة أو مجتمعة في شخصه كرمز لشعب بأكمله ليس معنيا بهذه الحادثة المحدودة فقط إذ ليست هي في الواقع إلا مجرد ظل لتلك الحوادث الهامة التي باتت تشغله وتشغلنا معه. وإذا كان بعض تلك الحوادث يُعْنَى بالصّراع العربي الصهيوني فإن المعتدي عليه وعلى حريته إنما هو هذا المتهم البرىء «الذي لا يكذب أمام القضايا الحقيقية التي يؤمن بها على عكس المحقق المدني الذي يستخدم آليا طرقه وكأنّه بعض منها». وهذا الاستخدام في مستوى الحادثة البسيطة يعكس صورته المضخمة على صعيد تلك الحوادث الكبرى التي

تعني المنطقة العربية بالخصوص، كما أن المقاومة التي يبذلها المتهم هي رمز المقاومة العربية المتصدية للعدوان الاسرائيلي ومن ثمّ فإن اختيار العنوان ينمّ عن ذكاء وتقدير لعلاقة الرمز بالواقع فإن الحادثة تعني ـ في نظرنا ـ أن المتهم هو المشكلة لما عاناه من ظروف التحقيق الشكلي في قضية هو مدان فيها سلفا، وليس المقتول إذ أن هذا الأخير مهما كانت مشكلته فقد تقلّصت أهميتها أمام المظلمة التي تعرض إليها المتهم. وفي مستوى الرمز فالمشكلة أو المأساة هو أن يظل الظالم مُتَعَنِّتا حتى عندما يصطدم بالواقع ويرغم على الاذعان فلا يذعن.





فقـريـــار

شعر : السعيدي المنصوري

نفـــخت في جيـــــوبك
من عرقـي ومـن أرقـــي
ومـــــن حساباتـــــي
يا فقريـار ... رفيقـــي

أسدلت الستـــــــار
علـــى ركـــح عيـــوبك
بدّدت الأشواك
نسفت الحواجـز من دروبك
يا عجزيـار ... رفيقـــي

عشقت فيك العـــــرى
أحبـــبت فيك العجـــز
يا عبييـــار ... رفيقـــي

يـــا أنـــا
يـــا أجمـــل من عشقـــي
ومـــن أنـــا

سرت في طريقي ... فصرت
طاووسا، ومثـلا للكبريـــاء
نهلت من قامـــــوسي
ومـــــن دروسي
لبست من نسج عناكبـــي
فسموك الوقار ... والحوار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يا فقريـــــار ... رفيقـــــي
يـــا أنـــــا
يـــا أجمـــل من عشقـــي
ومـــن أنـــا
واليـــوم ،،، يا فقريـــار
أراك علـــى هرم البهـــاء
متألقـــــا، متأنقـــــا،
دون ستـــــــــــار
أجبنـــي ،،، يا تعسيـــار
من أنـــــــــــا ؟

يا فقريـــــار ... رفيقـــــي
يـــا أنـــــا
يـــا أجمـــل من عشقـــي
ومـــن أنـــا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة قصيرة

الهـــاجـــــس

بقلم : **سامي محمد الرجباني**

(أ)

... فاصلة ...
ويندرج الكلام المسبق ...
والروح المسكونة بالوجع ...
والأيام الموغلة في القحط والصمت المستكين ...
... فاصلة ...
ويهيم الرجل في موال الحزن ...
وتنسى الأنثى وجع المولد ... ووجع الصحو بعد الموت ...
... تصرخ العين المفقوءة ...

وينتصب الشعر من وهج الخوف المقيت ... وإرتعاشات اللقاء ... تنساب الخطوات ... على الدروب الموغلة في الغربة ...
وفي الارجاء المسافرة في بحر العدم ...
ـ « ... مسكون هذا الرجل بالغربة ... »
ـ « ... معتوه ... »
.....
زمت الشفاه ...
وانفرجت الأفواه على صف من الأسنان المتآكلة ...
... عزفت الدقائق ألحان المأتم ...
صفقت الأيدي مثنى ورباعا ...
وتناثرت قطع اللحم المقضوم تحت الأجساد الساجدة ...
وعند الأقدام المثنية ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

... تململ ...
اضجع على ظهره ...
غمر رأسه باللحاف ...
واستسلم للنوم العميق !!

(ل)

لازال يذكرها ...
الخيمة الصغيرة ... والام البدينة ... والكلبة البيضاء ...
ورفيقة الدرب سارة ...
تعشق اللعب عند الأقدام ... والرقص في القلوب ...
.....
عند الأطلال الواهية ... وعلى رمال اليم ... الصامتة ...
تفحصته الأعين ...
استدار يواجه النزيف الحاد في احشاءه ...
وأجهش يومها بالبكاء ...
ـ « ... أنا لم افعل شيئا ...
ـ « وهذا الصمت البارد الذي يمزقني ...
وهذه الريح التي تصفر بين أضلعي ... »
ـ «مجنونة أنتِ ... م ... ج ... ن ... و ... ن ... ة ... »
.....
القطرات تتساقط وهو يسمع صوتها المحفوف بالخطر ...
هذا الدم الأحمر وهو يتدفق الى الوريد ...
قطرة ... قطرة ...
... ازاح الغطاء عن رأسه ...
استنشق روائح الأدوية ...
زفر بحرقة ...
ابتسم للوجه الجميل ...
وتصاعدت الدماء في عروقه ... نحو الرأس المجهد بالفعل ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(و)

... فاصلة
وأيام الصبا التي ولت ...
وهذا الحلم المزروع ...
ورائحة الدم ... والموت البطىء
وهذا الصوت الهادر ...
ـ « ... اخرجني من بحة الصمت ... »
ـ « ... هذه يدي المبتورة ... وهذا الموت الأصفر يقطعني ... »
... لا شيء ... يوقف هذا السيل الهادر نحو الأفق ...
ليضحك السحاب ... ولترقص الرمال في حضرة صاحب الجلالة (المطر)
ـ « ... أمي ... أبي ... سارة ... »
ويغرق الصوت مع الأصوات ...
.....
حين انطفأ القرص الأحمر الندي في برودة الموج الليلي ...
... غرق في بحر الشتاء ...
... و ...
بحث ... لكنه لم يجد سوى إصفرار وبرودة ...
وشعر أسود يلف الرؤوس ...
وعاد ليحرقها
كل الكتب المسجوعة ... وكل الكلمات المنظومة ...
سيقطع كل الخيوط ...
سينزوي في بحر الغربة ... في صومعة الجوعى ...
.....
.....
دار حول نفسه دورة كاملة ...
شعر بالدنيا تدور من حوله ...
جميل ... رائع ...
وعاد كل شيء كما كان .!!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(هـ)

السماعة الباردة تتحسس الجسد الأصفر ...
لامست قلبه المفجوع ... دقات خفيفة ... يتخللها صمت يشبه صوت الموتى ...
... ومن خلف نظارات الطبيب السميكة ... لمح الوجه البارد والشعرات الشاردة ...
... قطرات الدم ... لازالت ... تأخذ طريقها نحو الوريد الأزرق
تحمل وجع البشر وحزن الأيام ...
... رفع رأسه ...
تمثل الماضي ...
وعلى كفه لمح الفواصل المبعثرة ... والعروق البارزة
واللحم الأصفر ...
... شعر بالرغبة في الهروب ... من كل الأشياء الميتة ...
... انها الجدران والملل القاتل ...
اسقط كل الرايات ... نسى الامال ... وانتظر في صمت حدوث المباغتة ...
« ... يا أصوات الضحايا ... يا أفواه الجوعى ... يا أخطاء الحمقى ... يا همس الغانيات ... ويا أيها الألم المقيم فينا ... »
ارسل زفرة ...
« ... وماذا بعد ...
... المرايا تتخدش ... يسكنها الجوع ... والفقر ...
وهذه الأرض الحبلى ... كلام سيقوله للسلطان ...
امال سيطرحها على مسمع الحبيبة ... وقبلات سيزرعها على جبين الأم والأرض ... »
« ... آ ... ه ... ه ... »
وتتتابع الفواصل ...
لكنه كره الفواصل ... ومل الصمت ...
وعندما خنقه الصوت ....

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سكت القلب ... تيبست العروق ... وجف الدمع ...
لكنها كلماته أبدا ظلت تنبض ...
ـ « ... أ ... ب ... ي ... أ ... مَ ... ي ... س ... ا ... رَ ... ة ... »!!

(م)

من ذلك القلب ... من الصمت القابع في حناياه ...
من تلك الكلمات المخنوقة ...
خرجت ... وإلى السماء ... تلك الوردة البيضاء ...
انطلقت في هدير يشبه الصمت ...
لتعانق الحلم على صفحة الزمن القادم !!؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



يوميات من تاريخ الوطن المحتل

جمع وإعداد : **الحبيب المالكي**
سليانة

مقدمــة

الجزائر عاصمة المليون شهيد ... اليوم، الثلاثاء 15 نوفمبر 1988، حصل اجماع حول اعلان الاستقلال ومبدأ تشكيل الحكومة المؤقتة الفلسطينية وعاصمتها القدس ... غير أنّ وثيقة الاستقلال لم ترسم حدود الدولة الفلسطينية المستقلة واكتفت بالاشارة الى انها ستقام فوق أرض فلسطين كل الفلسطينيين أينما كانوا ... ولكن أي أرض نقصد ؟ وهل ننتظر اسرائيل لتحديد حدود هاته الدولة ؟ أم نترقب المؤتمر الدولي للسلام لتحديد ذلك !!!؟.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

«نحن نعرف كم هي صعبة عملية استخراج هدف الدولة الفلسطينية من الوحش الصهيوني ولكن جماهير الانتفاضة وأطفال الحجارة تعرف كيف تخلق ميزان القوى الجديد الذي يفرض على العدو الاقرار بحقوق الشعب الفلسطيني.

1 ـ التاريخ القديم

ـ 2500 سنة قبل الميلاد : استقر العرب الكنعانيون بفلسطين قادمين من جزيرة العرب، وعُرفت فلسطين طيلة 13 قرنا بأرض كنعان. وتعرضت فلسطين بحكم موقعها للكثير من الغزوات والهجمات.

ـ 1500 سنة قبل الميلاد : تثبيت الحكم المصري في فلسطين.

ـ 1184 سنة قبل الميلاد : نزل الفلسطينيون القادمين من «كريت»

بالساحل الجنوبي الغربي لأرض فلسطين وهم أول من أطلق عليها اسم فلسطين.

- 1168 سنة قبل الميلاد : غارة اليهود على فلسطين وسقوط مدينة أريحا بأيديهم.

- 923 سنة قبل الميلاد : انقسام المملكة اليهودية الى السامرة ويهوذا بعد حكم الملك سليمان بن داود.

- 822 سنة قبل الميلاد : زوال المملكة الاسرائيلية على إثر استيلاء الآشوريين عليها وطردهم لليهود منها.

- 538 سنة قبل الميلاد : فتح الفرس لفلسطين. ثم على إمتداد 500 سنة فتحها الاسكندر المقدوني ثم حكمها القبطالسة فالسلوقيون فالرومان فالفرس حوالي 40 سنة قبل الميلاد. ثم عاد الرومان بعد حوالي 80 سنة.

2 ـ تاريخ ما بعد الميلاد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- سنة 66 : تمرّد اليهود في ظل حكم الرومان.

- سنة 136 تمرّد ثاني لليهود، وهزمهم فيه الرومان.

- سنة 1187 صلاح الدين الأيوبي يحرّر فلسطين فيعود إليها بعض اليهود الذين أطردهم الرومان.

- سنة 1300 إحتلال فلسطين من طرف الاستعمار الاقطاعي التركي.

3 ـ ظهورة النّواة الأولى للحركة الصهيونية العالمية

- سنة 1650 : ظهور حركة منشقة عن بني اسرائيل والداعية الى توطين اليهود وإعادتهم إلى فلسطين.

- سنة 1810 اليهودي روتشيلد يتبرّع بأكبر مبلغ من المال لشراء بعض

الأراضي في فلسطين وإهدائها لليهود تمهيدا للاستيطان بالاراضي العربية الفلسطينية.

- سنة 1840 وزير خارجية بريطانيا «بالمارستن» يوجّه مكتوبا سريا الى السلطان التركي لحثه على تسهيل الهجرة اليهودية الى فلسطين.

- سنة 1886 تفطّن الباب العالي (السلطة السياسية في اسطنبول) إلى خطر الحركة الصهيونية في تهديد مصالحه. فلم يجد السلطان عبد الحميد بدا من فصل فلسطين عن ولاية سوريا وضمّها الى الباب العالي مباشرة بعد أن منع انشاء المستعمرات اليهودية فيها.

- سنة 1892 : صهيوني يدعى «قولد سميث» يحاول استئجار سفن حربية للقيام بغزو فلسيطين.

- سنة 1897 : السلطان عبد الحميد يرفض رغبة الصهاينة شراء كامل فلسطين، وفي نفس العام إنعقد المؤتمر الصهيوني الأول بمدينة «بال» السويسرية والذي عزم على إنشاء وطن قومي وشكّل هيئة الوكالة اليهودية.

ARCHIVE

- سنة 1903 يشرع الصهيوني «روتشايلد» في شراء بعض الأراضي من قبل الاقطاعيين العرب والأتراك في فلسطين.

- سنة 1905 المؤتمر الصهيوني السابع يؤكد على ضرورة استهداف إقامة «وطن قومي» لليهود في فلسطين بالذات.

كان العدد التقريبي للسكان في فلسطين سنة 1895 : 450 ألف عربي و 35 ألف يهودي بما في ذلك اليهود العرب.

- سنة 1908 : سقوط حكم السلطان عبد الحميد التركي وحلّ محلّه حزب «الاتحاد التركي» فازداد نفوذ الصهيونية أمام تدهور حالة الامبراطورية العثمانية.

- سنتي 1908 ـ 1909 : تكثف نشاط الحركة الاستيطانية حيث تأسست في يافا الوكالة اليهودية بتمويل من الحركة الصهيونية العالمية وذلك لتنشيط عملية الاستيطان وبذلك تأسست مدينة تل أبيب.

- 1912 عثر الألمان على خريطة في خزانة «الورتشايلد» بمدينة فرانكفورت مكتوبا عليها «مملكة اسرائيل» وتضم جزء من الوطن العربي يمتدّ من النيل إلى الفرات ومن الشام الى شمال الحجاز.

- عقد اتفاقية «سايكس بيكو» التي حددت منطقة النفوذ بين فرنسا وبريطانيا وفُصلت بمقتضاها فلسطين عن سوريا بضغط من الصهيونية العالمية.

- 1917 «وعد بلفور» : وزير الداخلية البريطاني الذي أعلن فيه باسم حكومته أنه سيبذل كل جهوده لاقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

- سنة 1917 : دخول القوات البريطانية مدينة القدس.

- سنة 1918 : القوات البريطانية تحتل فلسطين بأسرها بعد أن انضم الى وعد بلفور كل من فرنسا وإيطاليا ثم الولايات المتحدة الامريكية.

- سنة 1919 : تم تعيين أول مندوب بريطاني على فلسطين الذي ركّز الوكالة اليهودية في القدس وطالب بأن تكون فلسطين يهودية بقدر ما هي انقلترا انقليزية.

عدد السكّان التقريبي في سنة 1919 : 950 ألف عربي و 95 ألف يهودي (90 % عرب ـ 10 % يهود).

في العدد القادم : **المقاومة الجماهيرية**

ما يجب أن تعرفه عن الفصائل الدموية

بقلم : الأستاذ علي لعبيدي

مقدمـــة :

ما نسمعه في وسائل الاعلام عن الدم ونقل الدم يفضي إلى سؤال : ما هي الفوارق بين الفصائل الدموية وكيف عرفت ؟.

*** اكتشاف الفصائل الدموية**

عند بداية تجارب نقد الدّم التي حدثت في نهاية القرن السابع عشر (1667) لوحظت حالات موت في حين أن الغاية هي الانقاذ.

وبعد اجراء أبحاث عديدة ظهر أن هذه الحوادث ناتجة عن تفاعلات بين دم المتبرع من جهة ودم المتقبل من جهة أخرى وينتج عن هاته التفاعلات تجمعات (agglutination) الكريات الحمر من دم المتبرع في بلاسما دم المتقبل.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كل هاته الملاحظات أدت الى الاستنتاج أنه توجد فصائل دموية مختلفة عرفت فيما بعد بالفصائل A و B و AB و O.

*** أسباب اختلاف الفصائل**

كما قلنا عند ملاحظات الحالات القاتلة إثر تجارب نقل الدم اتضح أن هاته الحوادث كانت ناتجة عن تجمعات الكريات الحمر من دم المتبرع في بلاسما دم المتقبل واتضح فيها بعد أن هاته التجمعات ناتجة عن تفاعلات بين مادة توجد في الكريات الحمر ويطلق عليها اسم مولد المضاد (antigène) (= مادة ينشأ عن حقنها في الجسم، أجسام مضادة لها) من جهة ومادة أخرى توجد في البلاسما ويطلق عليها اسم : أضداد، أو أجسام ضديّة (anticorps) من جهة أخرى.

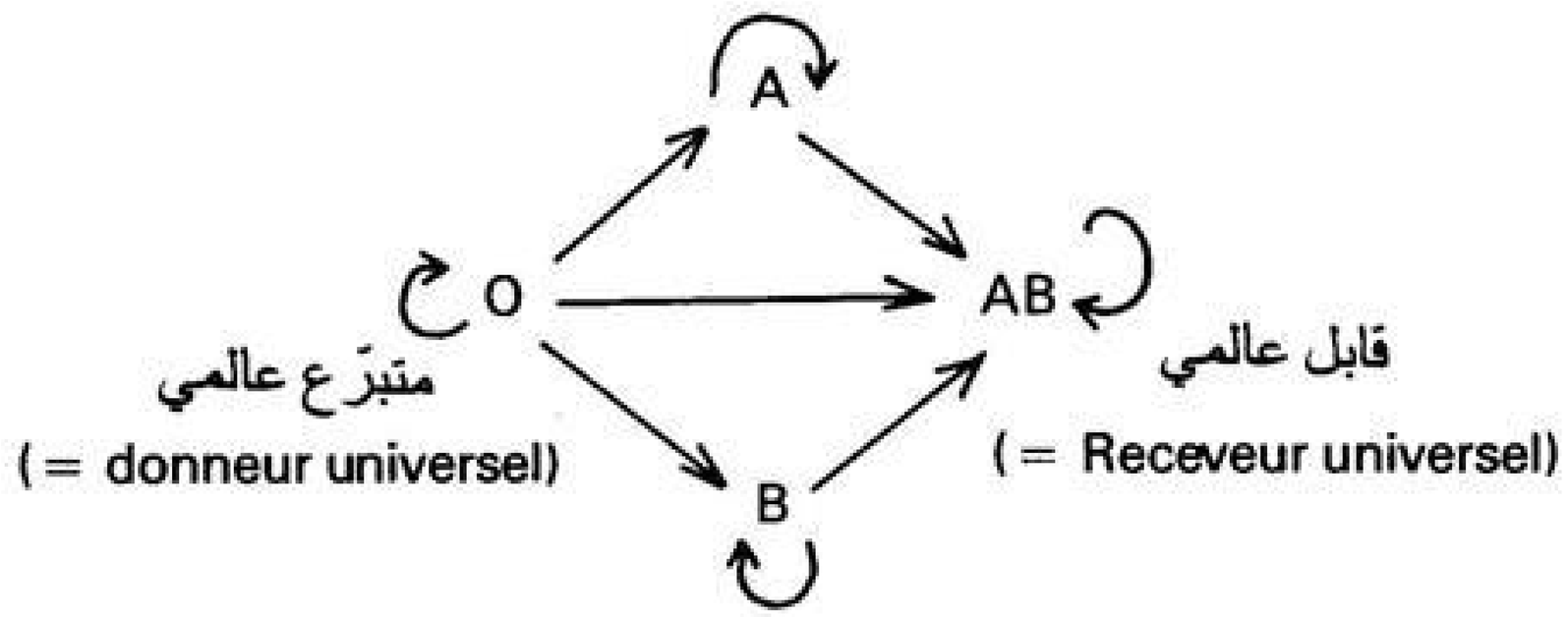
وتؤتي هاته التجمعات للكريات الحمر في الدم إلى انسداد الشرايين مما يعطل الدورة الدموية التي تؤدي للموت.

وحسب وجود وغياب مولد مضاد واحد أو مولدان، نجد عدة فصائل دموية حسب الجدول التالي :

فصائل	داخل الكريات الحمر	في البلاسما
A	مولد مضادّ A	جسم ضد B
B	مولد مضادّ B	جسم ضد A
AB	مولد مضادّ A ومولد مضاد B	لا أجسام ضدّية
O	لا مولدات مضادّة	جسم ضد A وجسم ضد B

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من هذا الجدول نلاحظ أن في الفصيلة الدموية الواحدة **لا يلتقي مولدها المضادّ وجسمها** الضدّ : فمثلا في الفصيلة الدموية A نجد **مولّد المضاد A ومعه جسم ضد B ولا نجد جسم ضد A. إذ أنّه لو التقى المولد المضادّ مع** جسمه الضد نتج التجمع للكريات الحمر. لذلك يعتبر فصيلة AB قابل للدم من جميع الفصائل الأخرى إذ ليس لديه أي جسم ضد ويعتبر فصيلة O متبرع لأي فصيلة كانت إذ ليس لديه أي مولد مضادّ.



وأوضح الباحثون في ميدان علم الوراثة أن أسباب هاته الفصائل الدموية ناتجة عن عوامل وراثية تحملها الصبغيّات وهاته العوامل هي A وB و O وهي التي تتسبب في تكوين المولدات المضادة أو الاجسام الضدية.

لكن بعد أن عرفت هاته الفصائل الدموية الأربعة اتضح انه وفي بعض الحالات عند نقل الدم من شخص إلى آخر تتجمّع الكريات الحمر رغم أن المتبرع والمتقبل من نفس الفصيلة الدموية. وهاته الملاحظة أدت إلى افتراض وجود تقسيمات أخرى لكل فصيلة دموية (وعددها المعروف لحدّ الآن 14 مثل فصيلة MN وغيرها).

أما بالنسبة لعلامات الفصائل الدموية وهي السلبي : (Rhésus –) والايجابي (Rhésus +) فقد اكتشفت في سنة 1940 بمدينة نيويورك الأمريكية اذ لاحظ الباحثان Wiener و Landsteiner أن دم 85 % من السكان البيض يتجمع (أي الكريات الحمر منه) بفعل مصل دم مأخوذ من أرانب وقع حقنها بدم قرد من فصيلة Rhésus.

يعني أن دم هؤلاء الاشخاص يحتوي على أجسام ضدية من نفس النوع الموجود بدم القرد Rhésus وعلامته (Rh^+) في حين أن دم الاشخاص اللذين لا يتجمع دمهم لا يحتوي هاته الاجسام الضدية وعلامته (Rh^-).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومعرفة علامة فصيلة الدم مهمة جدا عند الزواج. لنفترض أن امرأة (Rh^-) حامل بجنين (Rh^+) (: أبوه Rh^+). ففي أثناء هذا الحمل الأول ليست هناك أي مشكلة أو تعقيدات. ولكن عامة بالنسبة للحمل الثالث تكون الأم قد كوّنت كثيرا من الأجسام ضدّ Rh^+ التي بمفعولها تتجمع الكريات الحمر بدم الجنين. ولانقاذه كان يجب في الماضي تغيير دمه وهي طريقة باهظة الكلفة وقد تمكن العلماء حديثا من ايجاد طريقة أخرى أقل تكلفة وهي تتمثل في حقن الأم عند ولادتها الأولى بمولود Rh^+، بمادة تمنع تأثير الأجسام ضدّ Rh^+ على الولادات الموالية.

رِحْلَةُ الأمَلِ وَالألَمْ



محسن الفريجي

أيْنَ يَا سَمْرَاءُ حُلْوُ المَوْعِدِ
أيْنَ مِنِّي طَيْفُ ذَاكَ الحُلُمِ
جِئْتُ مِنْ تُونِسَ أحْمِي أضْلُعًا
حَمَلَتْ أشْوَاقَهَا لَوْ تَعْلَمِي
إنْ أكُنْ أخْطَأتُ يَوْمًا فِي الهَوَى
إنَّ عَهْدِي كَصُمُودِ الهَرَمِ
رُبَّ حُلْمٍ قَدْرَنَا قَلْبِي لَهُ
وَبِهِ الدُّنْيَا أبَاحَتْ أَلَمِي
حَسْبُنَا مِنْهُ لِقَاءٌ عَابِرٌ
وَحَدِيثٌ سَاحِرٌ لَمْ يَدُمِ
وَوُعُودٌ كُلُّهَا وَهْمٌ وَزَيْفٌ
قَاتِلٌ وَارَحْمَةٌ لِلْقَسَمِ
آهِ مِنْ وَجْدٍ أسَالَ الأدْمُعَ
لَمْ يَزِدْنِي غَيْرَ حَرٍّ فِي دَمِي
أكَذَا يُصْبِحُ حُبِّي أَلَمًا
وَصَبَابَاتُ فُؤَادٍ مُكْلَمِ
ضَاعَتِ الآمَالِ وَالذِّكْرَى سُدَى
رَغْمَ حفظي لِهَوَايَا المُضْرِمِ

* قصيدة قالها الشاعر وهو عائد من المغرب بعد رحلة خاصة

محطة للعشق
وأخرى للألم ...

عائدة بن جنّات
قليبية

ذات لحظة مجنونة قال لها : «لن أقول أحبّك أنت نسمة الإصرار وضيعة الدّمار ... وأنا رجل تتقاذفني الجدران لبرودتها ... جئت أبحث عن الدفء ... عن وجه واحد للقرار ...».

ـ قالت : «لن أقول أحبّك أنا أيضا أرفض اشعال عود الثقاب الذي سيحرقنا حتما معا ... ولكن ألا ترى مثلي أن الليل لا يزال طويلا هل تعطني قلبك ... أرى موضع الجرح فيه ؟».

استل قلبه من بين ضلعيه وما إن لمسته حتى استحال عصفورا حلّق نحو أرض رفضت خيوله غزوها ... صرخ فيها «ماذا فعلت بقلبي أعيديه لي».

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قهقهت بمرارة وهي ترى الحيرة قابعة في زوايا عينيه وقالت وماذا تفعل بقلب لم يورثك سوى الشجن ولم يجرّعك سوى الألم ... أقلع عن أوهام القلوب وهيّا بنا نستقبل فجر العقول ».

قال بأنّات خافتة «فيه أحزاني ... فيه آلامي ولكني تعودت على لعق آلامي ... على عشق أحزاني ... هل تفهمين ؟».

صفقت بيديها ... حط العصفور على كتفه وتشكّل قلبا رجع الى موضوعه نابضا بالحياة وفي عينيه ارتسمت غمامات سوداء».

وعلى محطّة السنين ...
قطعت تذكرتين واحدة له
وواحدة لأحزانه ...

مِـيـلاد الحُـروفِ

مِنْ عـذَابِي
مِـنْ غَيَاهِبِ وَهْـمِـي
مِـنْ دَيَاجِيـرِ اكْتِئَابي
يَخْـرُجُ الْحَـرْفُ مُنِيـرًا كَالشِّهَـابِ..

مِـنْ مَخَاضَاتِ حَنِينِـي
مِـنْ أَنِينِي تَحْـتَ أَحْـمَـالِ السِّنِيـنِ
مِـنْ ضَلَالَاتِـي وَشَكِّي وَيَقِينِي
يَخْـرُجُ الْحَرْفُ قَوِيًّا
مِثْلَمَا يَخْرُجُ لَيْثٌ مِنْ عَـرِينِ..

مِـنْ جِـرَاحَاتِ الْفُـؤَادِ
مِـنْ شُجُـونِ اللَّيْـلِ
وَمِـنْ نَـارِ السُّـهَـادِ
مِـنْ ضَيَاعِـي فِي دُرُوبِ الْفِكْرِ
وَبَحْثِي فِي مَتَاهَاتِ الْمَعَادِ
يَخْرُجُ الْحَـرْفُ
فَيَهْدِينِي إِلَى سُبْلِ الرَّشَـادِ..

آه كَـمْ أَشْـقَـى!
وَكَـمْ تَجتَاحُنِي الأَيَّـامُ!
كَـمْ تَعْصِرُنِي الأَفْكَـارُ!
كَـمْ يَشْتَدُّ فِي قَلْبِي الهيَامُ!
وَيُضْنِينِي مَلَالِي وَعُزُوفِي
فَتَرَانِي مِثْلَ عُصْفُورٍ ذَبِيـحٍ
لَا يُعِيدُ الرُّوحَ فِيـهِ
غَيْرُ مِيـلَادِ الحُـرُوفِ..

أحمد رضا حمدي
الكـاف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مـــوميـــاء

شعر : مراد العمدوني

*** ميم 1**

كان لنا طفل
ينام في ثناياه الربّ
وكان يُرتّق بدمعه كفنًا
على طول صباه
وحين يداهمه الحبّ
يهوى اللعب
فيصيّر الكون رغيف لهب
ثم يبكي
ويتام..!!

*** ميم 2**

خاف الطفل
من شكل يديه
فكيف يؤسس اكتماله
بيدين من تراب ؟
القلب سنبلة
وهذا النبض خراب
... آه ما أجمل أن تكون هذه الدنيا
فراغا
كي يحدد الطفل اتجاه الوقت
ويمضي يكفّن خطاه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

• ميم 3

أشعل شجونك بالجنون

يا .....

فقد أطفأتك الحياة

لا فرق الآن عندك

بين الرحيل

وبين أن تكتفن برؤاك

• ميم 4

تصيح امرأة في آخر القلب

«دعوا الذي أرى فيه تعبي

وأوسده حين ينال منه العمر ...

يختفي خلف ضباب الروح

الى الأبد

دعوه ...

فهو الذي حين تعرت في مقلتيه دمعة

فرّ الى كفيّ عاريا

فألبسته جسدي

دعوه ...

فكم مرة كنا نحلم بأن نرى وجهنا الآخر

ونجعل للنجوم

ليلا آخر

كم مرة ألبسته جسدي

وبحت له بنواميس ألوهتي

كي يبقني عالما آخر

تصيح امرأة في آخر القلب

ولكن حين الله يراودها

تتبركن ثم تختفي الى الأبد ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رجـــوع

جمال الشرادي
الروحية

ورجعـت إلى المكـان
ذات المكـان
ذاك الذي ضمنا من زمـانْ
وكنتُ وحـدي
ونكرتك في وحدتي يا رفيـق

ومشيت وحدي في الطريق
نفس الطريق
أيـن مشينـا
زمـن الحريـق
ونكـرتك في غربتـي
فهلا نكرتني يا رفيـق؟

هل تذكـر الأحْلَام والأشعـار
والخِلانَ والمقهَى وألعـابَ الورقَ
والتبغ والكبريت قد لعبـا بنـا
حتـى الغسـقْ
والجرعـة الحمـراء
تلعـب بالـرؤوس
وتديـرها مثل الـورقْ

هل تذكـر المسرح الأثـري[1]
والقاعة الكبـرى[2]
وكنـا كأطيـار الطفولـة
نمرح في السهـول
في أرض جرجيـر[3] وابنته
أمام القصـر في بهو الذهول

تلك البقاع المقدسة[4]
والباب والكهف العميـق[5]
هلا ذكرتهـا يا رفيـق؟
هل تذكـر الساعـات
ساعات المسـاء
في ذروة الأيام في عقر النهار
والدرس نتركه ونمشي
بلا تردد وانتظـار
أنا أنت منجي حمةَ والبقية
نموت في المرابيع
كأطفال صغـار
حتى إذا عَسنَ الظلام إلى الأديم
وأرخى على الكون الستار
عدنا إلى من حيث جئنا
وكان الليل قد خلع النهـار

---

(1) هو المسرح الروماني بمدينة سفيطلة (سبيطلة حاليًا)
(2) قاعة الاجتماعات المخصصة للملك.
(3) هو ملك الرومان انذاك.
(4) فسقية صغيرة قيل أنها كانت تستعمل للأطفال عند الولادة قصد إدخالهم الدين وهي تشبه الختان عند المسلمين.
(5) هو كهف أو نفق سري يستعمل لدخول القصر أو الخروج منه عند الخطر.

عرائس الكلام

عزالدّين منصر

الاهداء : **إلى عرائس الكلام والرّيح**
وإلى ل. ب.

دخل الجيبُ، يدي
واسْتَوْكَرَت كلّ النوارسُ رأسي ...
فأوصد الله
أبواب وجهه
ومضى !
يفتّش عن وجه جديد،
ونَمَتْ في يدي
صومعةٌ ويدانْ
أنا الآن هنا،
لحبيبتي كلُّ الوجوه
ولوجهي وجهانْ !
فمتى يقطف الله
تفاحة القلب ويمرّ ؟!
ومتى تغادرُ كل الطيورُ
أعشاش رأسي
وتنمو على شفتينا
وردةٌ وابتسامَهْ !!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صرخة في عمق السؤال

صالح الفضلاوي

للحلم
للدرب الطويل
أغني
فهل تعشق العين
حين أصلّي
أمْ يحلو للشرايين
السّلام ...
أين كفّي
يشدُّ على كفّي قليلا
سنروي لحُلمنا الباقي
أجمل الذكريات
ونَزْرَعُ في حلقنا الذي جَفَّ
أحلى الأغاني ...
أين الشفاه التي حطّت
على الجبين
قبلة دون احتراق ...
أين القلوب
التي فرَّت من جباهنا
ومن أساطيرنا الآن
والانتظار ... واللحظة التي أسكرتني
كُنَّا ... كما كُنَّا
كانت لنا احلامنا البائسة

كما الناس أجمعين
كانت لنا
أطوار قصتنا الموحشة
كما الناس ... آفلين ...
والآن ...
أين قلبي
يشدُّ على عاتِقي
ويرقص حذوي قليلا
حتى نلملم أجفاننا القائضة
ونشرب من دمانا
حتى الثمالة ...
أين بَقَايَا رُبوعنا
وأطلالنا
المنتشرة في أعماقنا
المُحتضرة ...
يا الشارع
الأوسع من بصري
يا الساعة الأطول من قدري
يا الليلة التي لا تنتهي
سآخذ من شفتَيَّ
حزني
وأدفن فيه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com